وقعوا في قبضة الرومان. وبينما كان يتجوّل بين الاسرى يستعلم عن احوالهم وحاجاتهم واذا بشيخ اضناهُ المرض فاهتمَّ بامرهِ على قدر طاقتهِ ثم سألهُ قبل فراقهِ أتكون لهُ حاجة فاعطاهُ الشيخ تلك الخرقة ليوصلها الى دار الوردد

فلمَّا سمعت يهوديت قولهُ عادت الى قراءة الرسالة ثمَّ اخذت تكرّرها: « لا بُدَّ من خلاصهِ لا بُدَّ . . . أسمعتَ »

— انَّ ذلك لأمر صعب. لانَّ الاسرى في سربٍ عميق لا يُدخل اليهِ الَّا من باب واحد والباب موصد يحرسهُ جند فظاظ الطبع لا يدَعون احدًا يخرج او يدخل دون تفتيشهِ حتى لو حاول ان يأتي رجل الى بعض الاسرى بسُمّ ليقتل نفسهُ وينجو من العـذاب لما امكنهُ ذلك. وفي هذا الصباح اصاب واحدًا منهم مسٌّ في عقلـهِ فشجَّ رأسهُ على حائط السجن فخاف السجّان على نفسهِ واستقدم طبيب البلديَّة ليُفتي في صحَّـة موتهِ ويبرّئهُ من تهمة القتل . . .

— فكيف العمل اذن ؟ ألا يمكنك أن تُسعفني ؟ بالله عليك لا تضنَّ بالوسائل التي تعلمها لنجاة علّة وجودي

— بودّي ان اسعفكِ على قدر استطاعتي . امَّا عمل المعجزات فليس من امكاني وانَّما ذلك في يد المسيح الذي كان يحيي ويميت كما يشاء .

— وارَبَّاهُ ! عليكَ وحدك رجائي ! الهمني ما اصنع لخلاص نور عيني !

وكانت دوروتيا تسمع هذه التنهُّدات وتتأفّف متحسرة على سيدتهـا وتسعى في تخميد وجعها دون افادة

امَّا بولس فانهُ توجَّه الى الباب ليعود الى خدمتهِ في السجن . فودَّع يهوديت ووعدها انهُ يأتيها في غد ويخبرها بما يحدث بخصوص الاسرى . فاعطتهُ الفتاة بعض اشربة مقوّية وشيئًا من الزاد ليسند بذلك قوى والدها الشيخ عندما يجتمع بهِ في سجنهِ

من لنا ان نصف ما خامر لب يهوديت من الهموم بقيَّة ليلتها . فانها باتت تتململ في فراشها كأنَّها تتقلَّب على جمر النار . أفلم ينجُ ابوها من اهوال الحرب الَّا ليقع في شدائد اعظم منها . . . كلَّا ان الله لا يريد موت ابيها فلا بُدَّ لها ان تنشلهُ من

غمرات الردى... ولكن ليت شعري ماذا تصنع لبلوغ أربها ؟ من يرشدها الى الطريقة المُثلى التي تحظيها برغوبها ؟

ثم اخذت تبحث عن الوسائل التي تُنيلها المرام فطوراً تفكّر في الاصحاب او المعارف الذين يمكنهم ان يشفعوا بابيها عند القيصر. ولكن ساء ظنّها فانهُ ليس بين معارفها من يستطيع او يجسر ان يدخل على القيصر ليعرض عليهِ ذلك. وطوراً تريد ان تكتب الى طيطس لعلّهُ يحنُّ عليها ويرثي لوجعها ولكن كيف تبلّغهُ كتابها. واذا الكتاب وصلهُ فهل يرضى بطلب فتاةٍ يعدّ قومها من اعداء مملكتهِ

وفي آخر امرها فكرت في ان تذهب هي نفسها الى فاتح اورشليم فتنطرح على قدميهِ وتسمعهُ بكاءً يلين لهُ الصخر الاصمّ

وبينما كانت تجول كل هذه الافكار متناوبةً في راسها اذ سمعت عن بُعد صوت فرسانٍ يجرون على خيلهم في الطريق المجاورة لدارها وهم يصرخون: فليحيَ الضابط! فليحيَ راسيوس!... فاعارت سمعها لهذه الاصوات التي تكرّرت مراراً حتى خمدت في جوف الليل وهدأت تماماً

فلمّا سمعت بيهوديت دقدقة حوافر الخيل واسم راسيوس ارتعش بدنها وتمثّل لها شبح ذاك الضابط الذي مرَّ قبل تسعة اشهر امام دارها فحيّاها تحيّة الوداع. وتذكّرت ما جلب عليها هذا النظر من الحنق والبغض من اخيها يوسف. على انَّ صورة ذاك الضابط لم تزل نصب عينيها شاغلةً لقلبها الى يوم تنصُّرها. فهذه الصورة نفسها لاحت لها في تلك الساعة كوسيلة الخلاص

فقامت اسرع من طرفة العين ودعت أَمتها دوروتيا التي قضت ليلها مثل سيّدتها في القلق والانزعاج فقالت لها:

اذا ما اسفر الفجر ارسلي ساعياً الى الضابط راسيوس — تلفّظت بهذا الاسم لأوّل مرّة واحمرَّ جبينها حياءً لولا ان الليل اخفى ذلك عن عبدتها — وليلتمس منهُ بالحاح ان يأتي الى دار الورود ليخلّص ابنة الصرّاف صمونيل التي هي على شفا الهلاك. فلا ريب انهُ يفهم ويلبّي دعوتي

قالت دوروتيا: نعم الفكر. لانَّ كثيراً ما اتى الى باب دارنا احد اعيان بيروت يُدعى لوسيليوس فاستخبرني عن احوالكِ ولمّا كنت أُعلمهُ باحزانكِ كان يرقُّ لكِ وقد

افادني انَّ ضابطاً اسمهُ راسيوس من قوّاد الجيش في اورشليم يرعى خاطرك. وربَّما كان يجني من حديقة الدار طاقةً من الورد ليرسلها الى هذا الضابط تذكاراً منك. وقد سمعتُ انَّ راسيوس هذا قد عاد مع الجنود الظافرة وانهُ نازل في دار لوسيليوس. فلا غرو انهُ يجيب الى دعوتك و...

— اراك اليوم تهذرين كالعجائز. اذهبي وتمّي اوامري على جناح السرعة

قالت هذا واقفلت باب حجرتها. وكان اوَّل نور الصبح اخذ يُسفر فيها. ثم جلست على ديوانها تنتظر بفروغ الصبر ما سيأتي بهِ ضحى النهار

واوَّل ما جال في فكرها قول أَمتها: «راسيوس يرعى خاطرك... وجنى طاقةً من الورد ليرسلها لهُ تذكاراً منك» فهيَّج هذا الكلام كامن عواطفها. الَّا انَّها كبحتها للحال ونسخ ذكرُ والدها كلَّ شاعرة بشريَّة عن بالها. ثم عادت الى صلاتها فغاصت فيها زمناً حتى اعتلى النهار وفتح العبيد رتاج الدار الحديديّ فسمعت صريرهُ وانتبهت الى نباح الكلب «اجاكس» لمَّا حاول البوَّاب ان يقيّدهُ ويعيدهُ الى قترته

الفصل الرابع عشر

انَّ الله يميت ويحيي

لم يرهب الضابط راسيوس الفُرس في حروبهِ السابقة اذ كانت تتعاورهُ سهامهم وتتناوبهُ نبالهم. وكذلك لم يعرف الجزع في حرب اليهود الاخيرة اذ كرَّ على العدى بقلب اثبت من الاسد القسور ليدافع عن قائدهِ وابن ملكهِ طيطس. امَّا الآن وهو سائر الى دار الورود ليلبّي دعوة صاحبتها فكان يشعر بقشعريرة في كل اعضائهِ. ولمَّا نزل عند باب الدار عن جوادهِ احسَّ بثقل في لسانهِ حتى لم يكد يعرف كيف يطلب من البوَّاب صاحبة القصر في بيتها ام لا. ولمَّا أُدخل بهِ الى حديقة الدار زاد اضطرابهُ وبقي حيناً لا يعي حتى انَّ العبد الذي كان يرافقهُ كرَّر عليهِ مراراً السؤال عن اسمهِ ليُعلم بهِ سيّدتهُ

وكانت يهوديت في انتظار الضابط فلمَّا رأتهُ داخلاً الى دارها من وراء سجوف نوافذها تبلبلت افكارها ووجب قلبها. الَّا انَّها قضت على نفسها بان لا تطلب غير خلاص والدها. وقبل ان يأتيها العبد ليعلمها بالوافد الكريم نزلت هي الى الديوان حيث أُدخل الضابط

فلمّا انفتح باب الحجرة حانت التفاتة من راسيوس الى الفتاة الداخلة فلم يشعر بنفسهِ الّا وهو عند اقدامها وقد امسك يدها ليقبّلها. امّا يهوديت فاقامتهُ مسرعةً وترعت يدها اللطيفة من يدهِ برفق وانحنت امامهُ مسلّمةً فتجلّد الضابط وسألها:

« انّ سيّدتي قد استدعتني اليها. فهل من عدوّ يتهدّدكم ؟ قد قال لي العبد الموفد اليَّ انَّ حياتكِ لفي خطر. فاعلميني الحقيقة لانّي مستعدٌ ان اتفانى في سبيل خلاصكِ واني اشكرك على انكِ فكرتِ فيَّ دون غيري لامدَّ اليكِ يد المساعدة . قولي بنا الامر ؟ »

فلمّا هدأ الضابط روع يهوديت اخذت الفتاة تقصُّ عليه بكلام متقطّع ما اصابها منذ نحو سنة من الاوجاع والاكدار وكيف بقيت وحدها معتزلة في دارهـا وهي تتلظّى على نار الهموم لما احاق اباها من الاخطار في المدينة المقدّسة. وها هو اليوم قد أودع في سجن مظلم بين اسرى قومهِ ينتظر عذابات مرّة وموتاً قبيحاً. ولمّا كان ذرعها قد ضاق عن خلاصهِ ولم تعلم الى من توجّه الحاظها لتنجّي والدها وعلّة وجودها . . . عرض لفكرها ذكر ذاك الفارس الشهم الذي . . . رأتهُ يوماً على جوادهِ . . .

وهنا احمرَّ وجه الفتاة وترقرقت عيناها بالدموع

امّا راسيوس فانَّ صوت يهوديت كان يرنُّ في مسامعهِ كنغمة عذبة وينفذ في احشائهِ كانهُ شهد العسل. لكنّهُ لما سمع ما نالها من الآلام التي قاستها في تلك السنة تفطّر لها قلبهُ. بل جعل يلعن تلك الحرب المشؤومة التي احلّت الويلات بشعب كان سابقاً حليفاً لرومية. الى ان قال للفتاة:

« اني اشكر الآلهة على انّها لم تسمح بان تسكب يدي نقطة من دم قومكِ » ثم اخبرها بما جرى لهُ وكيف انهُ توسّط بين طيطس وطالبي قتلهِ ففداهُ بدمهِ ونجّاهُ من الموت. ثم اردف قولهُ:

« الّا اني اعتبر جراحي واوجاعي كلا شيء. اذ هي اهّلتني لان اسعفكِ واباكِ. وهأنذا أُقسم لكِ ايماناً محرّجة باني اسعى في نجاة والدكِ. وان اقتضى الامر ان اضحّي بنفسي لاجلهِ لا اضنّ بحياتي . . . »

وسكت هنيهة ثم قال: اني اذهب اليوم الى طيطس واطلب اليهِ خلاص الاسير فاني متأكّد انهُ ينيلني طلبتي. ولولا انهُ امر حجّابهُ بالّا يأذنوا لاحد بالدخول عليهِ

لذهبت اليه في هذه الساعة عينها. لكني الآن اذهب الى السجن وابشّر اباك بقرب الخلاص (ستأتي البقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Al-Battani sive Albatenii Opus Astrononicum

Pars prima - Versio capitum cum animadversionibus

a Carolo Alph, Nallino, Mediolani, 1903 *pp.* LXXX-327

كتاب الزيج الصابئ للبتّاني – الجزء الاوّل

افاد المشرق قرّاءهُ في سنته الثالثة (٣: ٧١٧) عن الخدمة الجليلة التي خدم بها الآداب العربيّة الدكتور كرلو نلّينو مدرّس اللغات الشرقيّة في بالرمو بنشر كتاب الزيج الصابئ الذي ألّفهُ احد علماء العرب المعدودين في القرن العاشر وهو ابو عبد الله محمّد بن سنان الحرّاني الشهير بالبتّاني. وقد وضع هذا الكاتب العظيم عدّة كتب في العلوم الفلكيّة منها كتاب مطالع البروج ورسالة في تحقيق اقدار الاتّصالات وشرح المقالات الاربع لبطليموس الّا انّها كلّها اخذتها يد الضياع فلم يبقَ منها الّا كتاب الزيج الصابئ الذي نشرهُ الدكتور نلّينو في اصله العربيّ لاوّل مرّة نقلًا عن نسخة مكتبة الاسكوريال الفريدة الراقية الى القرن الحادي عشر. واليوم قد الحقهُ بترجمة لاتينيّة جديدة استدرك فيها عدّة اغلاط كانت وقعت في الترجمة المطبوعة في نورنبرغ سنة ١٥٣٧ ثم في بولوني سنة ١٦٤٥. وقد نظرنا في هذه الترجمة فالفيناها غاية في الضبط مع انسجام عبارتها. وهذا لعمري امرٌ صعب المرام في كتاب يقتضي تدقيقًا عظيمًا في الحسابات ومعرفة واسعة بالانساب والمثلثات وقد ساعدهُ في ذلك الاب حنا شياپارلّي الشهير. على ان الدكتور نلّينو لم يكتفِ بذلك بل ذيّل ترجمتهُ بحواشٍ تاريخيّة وعلميّة ولغويّة تدلُّ على طول باعهِ في ضروب العلوم. فنشكرهُ على هذا العمل الجليل الذي يمكّن الفلكيّين الاوربيّين من تقدير علماء العرب قدرهم اذ يوقفهم على الطرائق التي كان يستعملها سلفاؤهم في الرسوم الاورثغرافيّة وفي تعريف انحراف منطقة البروج والحساب السنويّ وبيان اوقات الكسوفات

والخسوفات الى غير ذلك مما يشهد على انّ العرب لم يكتفوا بكتاب المجسطي لبطاميوس بل زادوا عليهِ ووسَّعوهُ واكتشفوا اموراً لم يُسبقوا اليها

الاب دي ڤواجيل

المقامات العشر لطلبة العصر

طبع في بيروت سنة ١٣٢١ (ص ١٢٨)

هي عشر من مقامات شيخ العربيَّة وامامها ابي القاسم الحريريّ انتخبها فاحسن الانتخاب العلاَّمة الفاضل الشيخ محمَّد المبارك الجزائري وذيَّلها بشروح لألفاظها اللغويَّة فجاء كتاباً صغير الحجم كبير المنفعة يغني احداث المدارس عن مراجعة التفاسير المطوَّلة

ل. ش

Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines

par Daremberg et Saglio (fasc. 34, *Hachette* 1903)

معجم العاديَّات اليونانيَّة والرومانيَّة (تابع)

لا حاجة الى تكرار الثناء على العالمين الجليلين دارنبرغ وسغليو بعد ما قلنا مراراً عن فوائد معجمهما. وهذا الجزء الرابع والثلاثون (ص ١٦٠) تتمَّة لحرف الميم (M) فيه من الفصول الجليلة ما هو خلاصة كتب مسهبة نخصُّ منها بالذكر المواد الآتية: المعادن عند القدماء (Metalla) وتنظيم الجيوش (Militia) وتاريخ الهة الحكمة (Minerva) وآثارها. واله الفرس مثرا (Mithra). ثم النقود اليونانيَّة واللاتينيَّة(Moneta) وغير ذلك من الفصول المدضاة باسامي مشاهير الكتبة مثل ارديلون (Ardaillon) وكلرك (Clerc) وكانيات (Cagnat) وبابلون (Babelon) وبوتيار (Potier) وكومون (Cumont) وكلّهم من الكتبة المبرّزين الذين لهم الكعب الاعلى في معرفة العاديَّات ولو لم ينشر العلماء الفرنسيُّون غير هذا المعجم لكفى لشهرتهم. فنشكر المطبعة هاشت التي تسعى بطبع هذا المعجم بكل اتقان وكل سرعة

الاب ف. جوليان

L'EGYPTE ET LE SOUDAN

par le P. Chaine, s. j., Le Caire 1903

مصر والسودان

هو مختصر حسن غاية في الوضوح لجغرافيَّتي مصر والسودان وضعهُ الاب شان .

اليسوعي بالفرنسيَّة لافادة المدارس على طريقة السؤال والجواب. وقد ضمَّنهُ المؤلف كل ما يحتاج الاحداث الى معرفتهِ عن احوال هذين البلدين من حيث تركيبهما الطبيعي ودوائرهما السياسيَّة والاقتصاديَّة. ومع صغر حجم الكتاب تجد فيهِ فوائد جمَّة عن سكان مصر وعاداتهم وعن زراعة هذا القطر وتجارتهِ الداخليَّة والخارجيَّة وحركة سفنهِ كما انَّ واضعهُ اتسع في القسم المختصّ بالسودان. وقد افتتح هذا الجزء بملخص الحوادث التي جرت فيهِ من سنة ١٨٨١ الى ١٨٩٦. وفي آخر الكتاب معجم للالفاظ الاصطلاحيَّة مع ملحق في الدين العمومي للاب ل. مالون

شذرات

كتاب مجهول للتولوي — كان حضرة القس جرجس منش سرد في ترجمة الخوري بطرس التولوي (ص ٧٧٥) قائمة تآليف هذا الكاتب الشهير. وقد وقفنا آخرًا بين كتب مكتبتنا الشرقيَّة على تأليف لهُ لم نجد اسمهُ في هذه القائمة. وهو كتابٌ خُطَّ منذ نحو ١٥٠ سنة بخط جليّ وورق صفيق ليس لهُ اسمٌ يعرف بهِ كنَّا ابتعنا بهِ من حلب فبرح عن بالنا. واولهُ: «الحمد لله الذي افرغ شآبيب انعامهِ على انفس خدَّامهِ وشبَّ مشاهيب الهامهِ في افئدة خواصهِ وكرامهِ». ويدعى صاحب الكتاب «الخوري عبد الله بطرس بن بطرس بن اسحق المارونيّ نجارهُ التولاني وجارهُ ترِيل حلب ونذير رعيتها واب الملَّة المارونيَّة وايكونومس بيعتها» اما فحوى التأليف فالسيرة الرهبانيَّة وشروطها واعمالها. ولعلَّ تصنيفهُ في هذا الموضوع ممَّا يثبت انَّ التولوي كان راهبًا على الاقلّ مدَّةً من حياتهِ (راجع الصفحة ٧٧٠). وكتابهُ هذا يقسم الى خمسة اقسام فيحتوي القسم الاوَّل تأملات روحية لأيام الشهر. والقسم الثاني احد عشر تأمُّلًا في الرهبانيَّة وشرفها ونذورها الثلاثة. والقسم الثالث اثني عشر تأمُّلًا في الكهنوت وعظم مقامهِ وواجباتهِ. والقسم الرابع يشتمل على عشرة تأمُّلات في الفضائل المفيدة لكل مسيحيّ. وفي القسم الاخير سبعة تأمُّلات في الخطايا الرأسيَّة وعدد صفحات الكتاب ٢٨٨ صفحة وفي كل صفحة ١٧ سطرًا

مجاراة الدول لبعض مشاهير الرهبان — روى البشير في احد اعدادهِ الاخيرة نقلًا عن اخبار البريد الحديثة انَّ حكومة فرنسة اتحفت الاب بيكر اليسوعي

بوسام جوقة الشرف وقد تسلمهُ المهدى اليه « في تشانغ كيا تشانغ » بمحضر من العساكر

وقد اهدت المانية في هذه الاثناء الى يسوعي آخر اسمهُ شيرد مقيم في الصين من عهد احدى وعشرين سنة نوط الحملة الصينيَّة التذكاري. ونُقش على احد جانبي النوط الحرفان الابتدائيان من اسم الامبراطور غليوم وعلى الثاني رسم النسر منتضًا على التنين الصيني. وقد عُهد الى الاميرال دي بوريسين تسليم النوط الى المهدى اليه فسلمهُ اياه في حفلة حافلة اثنى فيها على خدمهِ للجيش الالماني وممَّا قال في خطابهِ « انَّ الديانة هي عضد الجيش والهيأة والوطن فاذا انتفت فقل السلام على كل ما ذُكر». كان لهذا الخبر وقعٌ حسن في مجلس النوَّاب في المانيــة حتى انَّ الدكتور سبان رئيس حزب الوسط اتَّخذ هذه الفرصة وسيلة للمطالبة بالغاء السنَّة الموضوعة على اليسوعيين فقال: « ان يسوعيًّا يهدى اليه في الخارج وسام بسبب اتيانه ما هو محرَّم عليهِ في داخل البلاد برهان على ان القانون المسنون ضد اليسوعيين ليس بصالح ويجب الغاؤهُ »

ومن الجائزات الحديثة الممنوحة لعلماء اليسوعيين جائزة « لوجيروت » اتحفت بها الجمعيَّة الجغرافيَّة الاب شثاليه مع نوط ذهبي. وكذلك اهداهُ المجمع العلمي جائزةً أُخرى مكافاةً لهُ على ما صنَّفهُ من التصانيف الجغرافيَّة اهمُّها خارطة نهر يانتسي

جواب مفحم طلبنا في المشرق (ع ١٧ ص ٨١٥) ان يدلَّنا حضرة الخوري غبريل على الكتاب الذي وجد فيهِ الرسالة الموجَّهة من القديس يوحنَّا فم الذهب الى روفينوس الكاهن والتي اطرأ فيها الذهبيّ الفم فضائل القديس مارون. فاجابنا حضرتهُ انهُ نقل هذا الأثر الفريد عن كتاب الحمامة من رسالة للقس ميخائيل فاضل تُدعى « الاجوبة السنيَّة ». فالحقنا هــذا الجواب. وفي هذه الرسالة آثار أجلّ واعظم - منها قولهُ (ص ٤٦٢ راجع ايضًا تاريخ الكنيسة الانطاكيَّة للخوري ميخائيل غبريل ص ٩١):

« قال القديس اوغسطينوس في كتابهِ الاول في عوائد الكنيسة في الباب ٣١ وباسيليوس في قانون الرهبان: قد كانت عادة اولئك الآباء الفضلاء ان يختاروا أفضلهم واكملهم علمًا وعملًا ويميلونهُ كاهنًا ليخدمهم في الاسرار الالهية ويرشدهم في الحياة النسكيَّة ولقد رقد كاهنهم بعد ان جاءهم القديس مارون بقليل فاختاروه باتفاق الكلمة والزموهُ بامر الاسقف ان يقبل درجة الكهنوت فقبل امتثالًا للامر . . . » وجاء في الصفحة ٤٦٣: « قال القديس ايرونيموس في ردهِ على تواريخ اوسابيوس (!) في كتابهِ السابع في الباب ٣٢ ان الملك والينوس (!) اضطهد النساك . . . امَّا مارونوس

الذي حفظهُ الله لابن بريدهُ فطفق ينشد تلاميذه المشتتين مجاباً القفار متنقلاً من بريَّة الى أُخرى ولم يزل كذلك حتى جمع شمل من بقي من تلاميذه

فلله ما اجمل كل هذه الآثار التي طلبناها دون فائدة في مظانّها !!! فكيف يزعم حضرة الاب لامنس انَّ توادوريطس هو المصدر الوحيد لحياة القديس مارون ؟

أسئلة وأجوبة

س سألنا بعض افاضل البلدة : ١ً هل وردت كلمة « فلّاح » بمعنى « ملّاح » و « مسكين » بمعنى « ابرص » كما زعم بعض المستشرقين – ٢ً لايّ سبب دعي بعض الخطّ ثلثاً وتعليقاً – ٣ً هل يُراد بالزوراء الفضّة كما زعم الاديب امين ظاهر خير الله في المقتطف (ص ٧٤٣) في شرحهِ لبيت النابغة :

وتُسقى اذا ما شئتَ غير مصرَّدٍ بزوراء في حافاتها المسكُ كانعُ

او ليس الزوراء اسم مكانٍ بعينهِ كما ورد في معجم البلدان لياقوت

الفلّاح – المسكين – الثلث والتعليق – الزوراء

ج نجيب على (الاوّل) أنّنا لم نجد لا في المعاجم ولا في غيرها من الكتب انَّ الفلّاح وردت بمعنى الملّاح اي البحريّ . واذا ورد شيء من ذلك فالاحرى ان يُعدَّ تصحيفاً . امّا المسكين بمعنى الابرص فذلك من باب التوسّع ليس من وضع الكلمة . ونجيب على (الثاني) انَّ شرح لفظتي الثلث والتعليق واردٌ قريباً في مقالة القلقشندي عن الخطّ العربيّ . ونجيب على (الثالث) ان جناب الاديب امين افندي خير الله بشرحهِ الزوراء في شعر النابغة بمعنى القدح من الفضّة قد استند الى تاج العروس الذي ضرب هذا البيت كشاهد على قولهِ وهو رأي ابن الاعرابي . امّا جغرافيّو العرب وتظنّ قولهم اصحّ فقد اجمعوا على انَّ زوراء هذه دار لملوك الحيرة راجع معجم البلدان لياقوت (٢ : ٩٥٥) ومعجم ما استعجم للبكريّ (ص٤٤٢) والمشترك (ص ٢٣٥) وهو راي الاصمعيّ وكذا شرحهُ اقدم شارح لديوان النابغة (شعراء النصرانيَّة ٦٩٤)

س وسأل حضرة الخوري نعمة الله الاسمر من الكنيسة : هل يكتسب الغفران الملحق على ثوب سيدة الكرمل ان لم يمتنع صاحبهُ عن الزفر يوم السبت

الشروط لاكتساب الغفارين الملحقة على ثوب سيده الكرمل

ج قد كتب في المشرق (٣ : ٦٣٣) حضرة الاب انستاس مقالة تبيّن باصرح عبارة الشروط لاكتساب الغفارين الممنوحة لحاملي ثوب سيّدة الكرمل فلتُراجع ل . ش

المشرق

الفلكيّ اليسوعيّ انجلو سكّي

للاب بطرس دي ڤراجيل اليسوعيّ مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبيّ

عُقدت في ٢٦ شباط المنصرم حفلةٌ حافلة في رومية العظمى لذكر السنة الخامسة والعشرين من وفاة الاب انجلو سكّي سليل الرهبانيَّة اليسوعيَّة واحد ائمَّة العلوم الفلكيَّة في القرن التاسع عشر. وكانت اللجنة القائمة بهذه المظاهرة اختارت لهذا الشأن الردهة الكبرى التي تزيّن قصر الحجابة الرسوليَّة وكان صدر هذا المجلس البهيّ مجلَّلاً بسجوف المخمل والارجوان وفي وسطهِ تمثال ذاك الراهب الوضيع يكتنفهُ كرَب النخل وسَعفهُ. وقد حضر هذه الحفلة عدد وافر من كرادلة واساقفة وجهابذة العلماء ونخبة المدينة يتقدَّمهم نيافة الكردينال ثانوتلي. وقد تُليت في هذه النسبة خطبٌ عديدة افاض فيها اصحابُها في سعة علوم الاب سكّي وفضائلهِ السامية بحيث انهُ اصبح مثالاً حيًّا لتوافق العلم والدين

وفي مدار السنة الجارية تسارعت المجلاَّت العلميَّة على اختلاف نزعاتها الى كتابة فصول منها القصيرة ومنها المطوَّلة اطرأت فيها الاب سكّي واشادت بذكر اعمالهِ الخطيرة. فرأينا نحن ايضاً ان نسطّر بوجيز الكلام ترجمة ذاك العلاَّمة الفضال ونعرّف للشرقيين ما اداهُ من الخدم لعالَم العلم والآداب فنقول وعلى الله التكلان:

*

ولد انجلو سكّي في راجيو احدى مدن إميلية من اعمال ايطالية في ١٨ حزيران سنة

١٨١٨ من اسرة وجيهة عريقة في الدين. فلمَّا نشأ جماهُ والداهُ في مدرسة وطنهِ التي كان يديرها الآباء اليسوعيون وامتاز فيها مدَّة دروسهِ باجتهادهِ وحصافة عقلهِ وتوقّد فهمهِ وكان مع ذلك على جانبٍ عظيم من التُّقى. ولمَّا بلغ الخامسة عشرة من سنّهِ اسمعهُ الله صوتهُ فدعاهُ الى خدمتهِ في الرهبانيَّة. فلم يتأخر الشابُّ الورع عن تلبية دعوتهِ تعالى بل اقنع والدَيهِ على ان لا يحولا دونهُ ودون اتمام رغبتهِ

وكان دخول الشاب سكي في الرهبانيَّة اليسوعيَّة في ٣ تشرين الثاني من سنة ١٨٣٣. وانتظم في سلك المبتدئين في رومية العظمى. وبعد ان أسَّس في قلبهِ الفضائل الرهبانيَّة مدَّة سنتين انكبَّ على تحصيل العلوم مباشرةً بالآداب اليونانيَّة واللاتينيَّة ثم انقطع لدرس الفلسفة والعلوم اللاحقة بها كالرياضيَّات والطبيعيَّات وبرَّز مذ ذاك العهد في معرفة الفلكيَّات كما لاح لرؤسائهِ في اثناء جلسةٍ ادبيَّة عقدها امام اعيان رومية فبيَّن فيها اموراً دقيقة كان العلماء يعدُّونها من مغلقات علم الفلك

فلمَّا علم الرؤساء ما خصَّ الله بهِ عقل الشاب الذكي نشَّطوهُ على مواصلة دروسهِ. بيد انَّ سكي لم يلبث ان ادرك انَّ للدروس الفلكيَّة فروعاً لا تحصى وانَّ بوسعهِ ان ينال فيها جميعاً بعض الشهرة فيؤلف التآليف المتنوعة كما عمل فلكيُّ عصرنا فاي (Faye). وعليهِ رأى ان الاولى بهِ ان يتفرَّد بقسمٍ من هذه العلوم فيتعمَّق في درسها بحيث يدرك كلَّ وجوهها. فاختار بين هذه الفروع طبيعيَّات علم الهيئة اي تركيب الاجرام السماويَّة والاختلافات الطارئة عليها وخصَّ بها نظرهُ دون الفلكيَّات الآليَّة. ونعم ما فعل فانهُ لولا تفرُّدهُ بهذا القسم لما بلغ المبلغ الذي نالهُ ولما اكتشف الاكتشافات العجيبة التي احرز لهُ فيها اسماً مخلَّداً

ولمَّا اتمَّ الاب سكي درس الفلسفة احبَّ ان يجعل بناء علومهِ راكزاً على اساس متين فتتلمذ للاب بيانشاني الذي كان نسيج وحدهِ في زمانهِ فدرس عليهِ افضل الاساليب الرياضيَّة وهو مع ذلك يساعدهُ في تدريس الطبيعيَّات في مدرسة الاشراف. فلمَّا تضلَّع من معارف استاذهِ أُرسل الى مدرسة لوريتو ليتولَّى فيها تدريس علم الطبيعة فولّاهُ اربع سنوات بنجاح عظيم. وكان الاب سكي في اثناء ذلك يتجرَّد في اوقات الفراغ لدروسهِ الخصوصيَّة وقد خلَّف من بعدهِ كتاباً ضخماً كتبهُ في ذلك الوقت ودوَّن فيهِ

فقرات جمّة التقطها من اشهر المؤلفين في علم تحريك الاثقال والكيميا والطبيعيات والفلك والمعادن

وفي سنة ١٨٤٥ لبّى داعي رؤسائه فعاد الى رومية لدرس اللاهوت فلما اتقنهُ رُقي الى درجة الكهنوت في ١٢ ايلول سنة ١٨٤٧ فقدَّم الذبيحة الاولى بعبادة عظيمة أثَّرت في كل الحضور بحيث كانوا يردّدون قولهم: «ما احسن العلم والتقوى اذا اجتمعا». على انَّ الاب سكّي لم يبقَ طويلًا في رومية فانَّ الثورة الايطاليَّة هاجت في خلال ذلك واضطرَّت اليسوعيين ان يخرجوا من امّ المدائن ويسيروا الى المنفى. فتفرّق الرهبان ايدي سبا. وسار الاب سكّي مع طائفة من اخوته الى انكلترة الى مدرسة ستونيهُرست الشهيرة فنزلوا فيها عند اليسوعيين الانكليز ضيوفًا كرماء. وكان لمدرسة ستونيهُرست مرصد فلكي فانتهز الاب سكّي تلك الفرصة لدرس آلات ذلك المعهد الشهير مدَّة الاشهر التي قضاها في انكلترة

وفي السنة التالية أُرسل الاب المذكور الى اميركة الشماليَّة الى مدرسة جورجتون الواقعة قريبًا من واشنكتون. وكان لهذه المدرسة ايضًا مرصد عظيم يديرهُ الاب كورلي (Curley) اليسوعي. فلما تعرَّف المدير بالراهب الايطالي وما طُبع عليه من ثقوب الذهن وسرعة الفهم وشجت بينهما عروق الصداقة والوداد وصار الاب كورلي يتّخذ سكّي كساعد لهُ في كل ارصاده. واجتمع ايضًا الراهب المهاجر باحد أعلام عصره وهو العلّامة موري (Maury) مدير مرصد الحكومة في واشنكتون فاخذ عنهُ علمًا مستجدًّا كان موري سبق اليه اهل زمانه وهو علم الآثار الجوّيَّة. وكان سكّي يشكر الله على انَّ منفاهُ قرَّب اليه الوسائط لمعرفة هذين الرجلين الشهيرين ويعدّ ذلك نعمةً من العناية الصمدانيَّة اهّلتهُ لتوسيع نطاق علومهِ

وفي مطاوي هذه الامور فقد العلم احد انصاره المبرّزين ألا وهو الاب دي ڤيكو (de Vico) مدير مرصد المدرسة الرومانيَّة من عظام الفلكيين في القرن التاسع عشر مات بغتةً في لندن بعد جلاء اليسوعيين من رومية سنة ١٨٤٨ وهو في منتصف عمره لم يتجاوز الثالثة والاربعين منهُ فبقي مرصد رومية في حاجة الى رأس يدير اشغالهُ الخطيرة

فلما عاد بيوس التاسع من غاييت الى رومية بعد اشهر قليلة رجع اليسوعيون ايضًا الى اديارهم. ففكَّر رئيس الرهبانيَّة في الاب سكّي واستقدمهُ من اميركة ليتولى

في المدرسة الرومانيَّة تدريس القسم الفلكي ويُعنى مع ذلك بادارة المرصد البابوي. فاستبشر الكلّ بتنصيبهِ واعدوهُ خير خلفٍ لافضل سلف

وفي واقعة الحال ما لبث التلميذ ان جارى معلمهُ فقام منذ باشر الامر احسن قيام بهمّتهِ حتى ظنَّ العمَّال الذين تحت نظارته انَّ مدير المرصد الجديد احيا معالم سلفهِ لا بل انهُ فاقهُ بعداركهِ وحسن تدبيرهِ. وكان مع ارصادهِ الفلكيَّة يؤلف التآليف العديدة ويكتب المقالات المستوفية في المجلَّات العلميَّة فلم تمرَّ عليهِ سنة واحدة دون ان يدبّج فيها بقلمهِ عدَّة مصنفات فلكيَّة كان يبادر العلماء الى مطالعتها وتدوين فوائدها

ولمَّا كانت العلوم في ذلك العهد تترقّى يومًا بعد يوم لم يشأ الاب سكي ان يتأخر المرصد الروماني عن المراصد الكبرى الدوليَّة ولذلك سعى باقتناء الادوات الرصديَّة الجديدة وبتوسيع معاهد المرصد

لكنَّهُ لحظ انَّ برج الرصود المُبتنى فوق احدى زوايا المدرسة الرومانيَّة ليس بمتين وانهُ لا يقوى على حمل الادوات اللازمة للاقيسة الفلكيَّة فعرض على رؤسائهِ في سنة ١٨٥٢ ان ينقلوا المرصد فيجعلوهُ حول قبَّة كنيسة القديس اغناطيوس. وذلك ان مهندسي هذه الكنيسة لمَّا ارادوا ابتناء القبَّة اقاموا لها اساطين مربَّعة غاية في المتانة متَّسعة جدًّا جعلوا القبة على اطرافها فبقيت حول القبة مسافات كبيرة تصلح لمعاهد رصديَّة. فبعد الفحص المدقّق استحسن الرؤساء هذا الراي فجُعلت على احدى السواري نظّارة كبيرة للعبور (équatorial) كان اتحف بها المرصد سنة ١٨٤٣ حضرة الاب رووتان الرئيس العام على الرهبانيَّة اليسوعيَّة . وبُنيت على سارية أُخرى قبَّة واسعة يمكن تحريكها حسب حركات النجوم وأُودعت فيها آلة رصديَّة لمراقبة الافلاك طولها اربعة امتار ونصف. وخُصَّت الآلة الرصديَّة القديمة برصد الشمس وحدها وزادها الاب سكي تحسينًا بان اضاف اليها آلة مركس (Merx) المحرّقة للاشعة النوريَّة

ومع هذه الآلات الرصديَّة اتَّخذ ادوات عديدة لتدوين المظاهر الجويَّة. وكان اجمل هذه الادوات واعظمها شأنًا الميتيوروغراف اي راقم الآثار الجويَّة كان اخترعهُ سكي بنفسهِ وهو عبارة عن عدَّة ادوات متَّصلة بعضها ترقم بحركتها الخاصَّة على ورقة ذات ترابيع خطوطًا تعرِّف الاختلافات الطارئة على الضغط الجوّي وعلى درجات

الحرارة والرطوبة وعلى قوة الرياح ووجهتها وعلى المطر ومدة هطلانه. وكل هذه الفوائد يقوم بها ادوات مختلفة كالبارومتر والانيمومتر والترمومتر يمكن وضعها في الامكنة المناسبة لها مع الاستدلال على رصودها في مركز واحد بواسطة مجاري كهربائية تبلّغها نقطة معلومة فيقابل الراصد كلّ حركاتها بنظرة واحدة. وهذه الآلة ترى اليوم في كل المراصد الدوليّة لا يستغني عنها مرصد الّا انّ اشكالها تختلف بعض الاختلاف حسب الامكنة

وفي سنة ١٨٥٨ رأى الاب سكّي انّ مرصده في حاجة الى فرع آخر يؤدي للعلم خدمًا جليلة نريد فرع المراقبات المغناطيسيّة فأعلم بذلك الطيب الذكر البابا بيوس التاسع الذي بكرم حاتمي دفع له مبلغًا وافرًا ليستحضر من انكلترة اجود الآلات التي يحتاج اليها لهذه الارصاد

فشيّد الاب سكّي لهذه الآلات المغناطيسيّة ردهةً والحق بها برجًا ضمّنهُ الآلات للاقيسة الكهربائيّة التي هي كتتمّة للقياسات المغناطيسيّة. وممّا يجدر بنا ذكرهُ انّ مرصد المدرسة الرومانيّة سبق كلّ المراصد الدوليّة في رصد مجاري المغناطيس في قلب الارض بطريقةٍ نظاميّة. وتبعهُ في ذلك بعد قليل مرصد غرينويش الطائر الشهرة

*

فلمّا حصل سكّي على محلّ مناسب للارصاد الفلكيّة وجهّزهُ باجود الآلات وادقّها وهو هو في المعارف الفلكيّة وسموّ الهمّة لم يَعُدْ يعرف الراحة في ترقية علم السماء. وتعريف الاجرام العلويّة فانهُ في مدّة نيف وربع قرن وجّه لهذه الغاية الشريفة كل قوى بصيرته الوقّادة

ولو اردنا ان نحصي هنا كلّ الاكتشافات التي توصّل اليها هذا الراهب النابغة والتآليف التي وضعها في العلوم الفلكيّة وهي تنيف على الثمانمائة لطال بنا تعدادها فمنها المقالات الجليلة التي كانت تتسابق الى نشرها اكبر المجلّات العلميّة ومنها الكتب الضخمة التي نُقلت الى لغات شتى كتأليفهِ المثمون « بوحدة القوى الطبيعيّة » وكتابهِ عن « الشمس » وهو مجلّدان ضخمان من ابدع ما كتبهُ العلماء في عهدنا. وكتابهِ عن « النجوم ». هذا فضلًا عن التقارير والنشرات التي كان يرسلها لكتب العلوم في باريس ولسائر المراصد الكبرى ودور المعارف الدوليّة. الّا انّنا لافادة القرّاء

نذكر هنا اخصَّ مشروعات الاب سكّي في الأقسام الفلكيّة الثلاثة التي صرف اليها نظرهُ على وجه خاص نريد اولًا اعمالهُ في السيّارات. وثانيًا اعمالهُ في الشمس وتحليل النور الشمسي. وثالثًا اعمالهُ المتيورولوجيّة وما يلحق بها

١ · اول ما باشر بهِ الاب سكي في اعمالهِ الفلكيّة الكبرى انهُ عمد الى نظّارة العبود التي كان ركّبها في مرصدهِ فقاس بها اوضاع نحو ١٤٠٠ نجم من النجوم المزدوجة وهي التي تراها العين مفردة مع كونها في الحقيقة عبارة عن نجمين مختلفين او اكثر. وكانت غاية الاب سكّي بهذه الأقيسة ان يتمم الجداول التي صنّفها العلّامة ستروف (Struve) قبلهُ بخمس وعشرين سنة في كتابهِ الذي دعاهُ بالأقيسة الميكرومتريّة (Mensuræ micrometricæ) ثمَّ يقف على ما طرأ من الاختلافات في سير هذه النجوم منذ ذاك العهد فنشر قائمةً اولى لهذه النجوم سنة ١٨٥٩ واتبعها بقائمة اخرى للنجوم الملوَّنة

ثم وجَّه عنايتهُ الى السيّارة زُحل ودرسها بنظّارتهِ العجيبة فاكتشف انَّ ظلَّ زُحل الواقع على الحلقة المزدوجة التي تطوّقهُ يختلف عن ظلّ كرة على جسم سطحي. فاستدلَّ بذلك على انَّ هذه الحلقة ليست مسطَّحة بل محدَّبة نوعًا. ثم واصل مراقباتهِ لهذا السيّار فوجد لهُ حلقةً ثالثة لم يعرفها العلماء. وتمكّن بعد مدَّة من تعريف تسطيح قطبيهِ ثم قاس اهليلجيَّة حلقة زُحل وخروج مركز هذه الحلقة الخفيف عن مركز سيّارها مع بيان مدَّة دورانها. وكلُّ هذه الاكتشافات المبنيَّة على ارصاد مدقّقة نُشرت في عالم العلم وتأيّدت بعد قليل بالحسابات النظريَّة التي اجراها الفلكيّون

ثم انتقل الاب سكّي الى رصد المشتري والاقمار الدائرة حولهُ فداوم على دراستها زمنًا طويلًا حتى توصَّل الى ان قاس قُطرها قياسًا غاية في الضبط — ثم رصد المرّيخ ودرس لهُ خريطةً حسنةً وخصَّ نظرهُ بدرس التُرَع الغريبة التي يُشاهدها الفلكيّون في سطحهِ — ثم شخص بنظّارتهِ الى القمر فرسم بالتصوير الشمسي احدى فوهات براكينهِ رسمًا يُعدُّ حتى اليوم آيةً في بابهِ ويحفظهُ العلماء ليقابلوا بينهُ وبين الرسوم المقبلة لعلّهم يطّلعون على طوارئ تطرأ عليهِ. وكان آخر ما فحصهُ الاب سكّي من السيّارات سيّارتي اورانوس ونبتون فدلّتهُ نظّارتهُ على بعض خصائصهما رغمًا عن بُعدهما في فضاء العالم الشمسي

٢ وكان يقتضي على الاب سكي مدَّة رصدهِ لهذه السيَّارات ان يراقبها بمرشور الطيف فدعت بهِ هذه المراقبات الى ان يعمل نظرهُ في كوكبنا العظيم ويحلل نورهُ بالطيف الشمسي. وقد بحث في الشمس ابحاثاً جليلة واكتشف اكتشافات عديدة يكفي الواحد منها لتخليد ذكر عالم. وهذه الابحاث المبتكرة والاكتشافات النفيسة قد ضمَّنها الاب سكي في كتابهِ عن الشمس الذي ظهر اوَّلًا باللغة الفرنسيَّة سنة ١٨٧٠ والعلماء لسان واحد في اطراء صاحبهِ والاقرار بفضلهِ على اهل زمانهِ. ولهذا الكتاب صور عجيبة ورسوم دقيقة للغاية

وكل هذه المصنَّفات والمساعي الجميلة جعلت اسم الاب سكي مستفيضاً شائعاً في كل الاقطار المتمدِّنة. وكانت الدول تدعوهُ دعوةً رسميَّة لكل مجامعها العلميَّة وتهديهِ الامتيازات والاوسمة التي تضنُّ بها عادةً على الرهبان لاسيَّما اليسوعيين منهم. ولمَّا قرب وقوع كسوف الشمس العظيم في ١٨ تمّوز سنة ١٨٦٠ اتَّفق الجميع على تعيين الاب سكي ليرصدهُ في اسبانية حيث كان هذا الظهر تامًّا لا يشوبهُ نقص ولا يحجز عنهُ حاجز. فكان دخول الاب سكي في اسبانية كيوم عيد رحَّب بهِ كل العلماء وفي مقدمتهم مدير المرصد في مجريط دون انطون اغويلاس. وكان سكي يبني على هذا الرصد آمالًا طيّبة فلم يخب رجاؤهُ لانهُ استنتج منهُ النتائج الخطيرة التي اتَّخذها العلماء كوصلة لاكتشافات أُخرى. فمن ذلك انهُ حكم حكماً فصلًا في صحَّة وجود نتوءات مادّيَّة في الشمس. وكان العلماء قبلهُ يتباحثون في ذلك فمنهم من يؤكّد ومنهم من ينكر. وكان اكثرهم يظنُّون انَّ هذه النتوءات انَّما هي انعكاسات نوريَّة او اعراض تطرأ على الشمس فتحقَّق الاب سكي انها في جرم الشمس وانَّها ناتجة عن لهب او ألسنة ناريَّة تتصاعد منها وربَّما بلغ ارتفاعها أُلوفاً من الكيلومترات وهي هي التي تغيّر هيئة جرم الشمس الكروي

وممَّا ساعد الاب سكي في ابحاثهِ الشمسيَّة آلة اخترعها تُعرف حتى اليوم باسمهِ عند مجهزي الآلات الرصديَّة وتدعى « سبكتروسكوب سكي » اتَّخذها لتحليل الطيف الشمسي ودرس خواصّ نور الشمس فامكنهُ بهذه الاداة ان يستوعب البحث في الكلَف الشمسيَّة وحقيقتها وان يعرِّف جرم الشمس وطبقاتها الثلاث اي نواة الشمس الوسطى والطبقة المنيرة او الفوتوسفير (photosphère) والكرة الغازيَّة

المعروفة بكروموسفير (chromosphère) وقد بيّن ما في هذه الطبقات من المجاري الناتجة عن الإشعاع وتكاثف الغازات كما انهُ اعلن بما لكُلَف الشمس واطوارها في انفجار لهيبها او خمودهِ من العلاقة بالمجاري المغناطيسيَّة الارضيَّة

وهذه الاعمال الخطيرة في تعريف شمسنا لوفرتها وسعة نطاقها تذهل العلماء. الّا انَّها لم تكن سوى قسم من اشغال الاب سكي الذي اضاف اليها عددًا عديدًا من المباحث في طيوف النجوم وفي اصل الرجوم وكنه النيازك وفي حركات ذوات الذَّنَب وغير ذلك ممَّا يطول شرحهُ

٣ ولعلَّ الاب سكي مع تفرُّدهِ في علم الهيئة وكثرة تآليفهِ الفلكيَّة التي سبق وصفها اصاب مجدًا اعظم باعمالهِ واكتشافاتهِ في عالم الآثار الجويَّة. وممَّا لا مُندحة عن ذكرهِ من هذا القبيل النشرة الميتيورولوجيَّة التي كان ينشرها في اوقات محدودة. ولهُ يعود الفضل في تعريف مظاهر الجوّ في رومية وانحائها المجاورة التي لم تُعرف قبلهُ معرفةً صحيحة

وكان الاب سكي لم يزل يكاتب مدير مرصد واشنكتون مردي (Maury) المذكور سابقًا. ثمَّ قدم هذا الى اوربَّة ليتَّفق مع اهل مراصدها فيتواطأوا كلهم على تدوين نشرات عموميَّة في احوال الجوّ وطوارئهِ في اوربَّة واميركة ليستطيع العلماء بذلك ان يقابلوا هذه الرصود بعضها ببعض ويستخلصوا منها قواعد راهنة تصحُّ في البلاد كافَّة. فلمَّا اراد اخراج هذا المشروع لحيز الوجود كان الاب سكي من اعظم انصارهِ لتحقيقهِ. وابتدأ هو الاوَّل منذ ١٨٥٦ ان يجمع في كل ممالك البابا الاعلامات اليوميَّة عن الجوّ وآثارهِ واخذ ينشرها في مجلَّتهِ

وعلاوةً على ذلك سعى الاب سكي في مشروع آخر يعرف اليوم فوائدهُ الفلكيُّون قاطبةً وذلك انهُ حمل علماء باريس على ان يرسموا كل يوم خارطة اوربَّة الجويَّة ترى عليها كل الافادات عن الامطار والرياح والحرارة وثقل الهواء. وهذه الافادات تبلغ الى باريس تلغرافيًا من كل بلاد اوربَّة فتُرسم في عاصمة فرنسة من ساعتها وتُرسل الى المدن الكبرى والى المرافئ البحريَّة. فهذه لعمري خدمة حقيقة بشكر ابديّ يؤدّيهِ العلماء لصاحبها لكثرة ما ينتج عنها من الفوائد للتجارة وللبحارة وغير ذلك. وقد سبق ان الاب سكي وضع لرصد الحركات الجويَّة آلة نفيسة دعاها بالميتيوروغراف وهي الآلة التي

عُرضت في معرض باريس سنة ١٨٦٧ فجازى نابوليون الثالث صاحبها بنوط ذهبي وبصليب جوقة الشرف

وفي سنة ١٨٧٢ عُقدت لجنة دوليَّة لضبط قياس الميتر وتعيين جماعة من العلماء لدرس هذا المطلب الّا ان مبعوثي ايطالية لمَّا احسُّوا بان الاب سكي يكون في مقدمة هؤلاء العلماء طلبوا ان يُستثنى من عداد المنتخبين وتهدَّدوا بجيادة دولتهم اذا وقع عليه الاختيار. لكنَّ اعضاء اللجنة لم يُعيروا سمعًا مبعوثي ايطالية قائلين انهُ ليس ثمَّة مسألة سياسيَّة او دينيَّة لكن مسألة علميَّة بحتة. فكان انتخاب الاب سكي دليلًا جديدًا على اعتبار الدول لهذا اليسوعيّ رغمًا عن ثوبهِ الرهبانيّ

وللاب سكي اعمال غير هذه نضرب عنها صفحًا ونكتفي في الختام عن اكتشافهِ لقياس ثابت مقرَّر تقاس بهِ قاعدة مساحة المثلثات فانَّهُ هو الذي صحَّح هذا القياس سنة ١٨٥٤ على الطريق المعروفة باسم أبيوس (Appius). وكان البابا بيُوس يحبُّ ان يعهد الى الاب سكي باشغال ذات شأن منها أنهُ انتدبهُ لاستجلاب المياه الى رومية ومدن المملكة البابويَّة عن مسافة بعيدة فنجح بذلك نجاحًا تامًّا. وكلَّفهُ ايضًا البابا المذكور بان يتمم مساحة الاملاك البابويَّة التي كان ابتدأ بها سنة ١٧٥١ الاب بوسكوفيش اليسوعي. فأدَّى بهِ ذلك الى ان يهتمَّ سنة ١٨٦٨ بقياسات دقيقة وضعها للَّجنة الدوليَّة الموكلة برسم خطّ لهاجرة اوربَّة الوسطى وكان الاب سكي ناظرًا على فرع من هذا العمل الخطير وتحت نظارتهِ عدَّة من ضُباط الهندسة الحربيَّة. ولمَّا فتحت الدولة الايطاليَّة في تلك الاثناء رومية اضطرَّ الاب سكي ان يترك هذه النظارة الَّا انَّ اقيستهُ كانت كقاعدة رجع اليها العلماء دون نظر ولا اصلاح لعلمهم بصحَّتها

والحقُّ يقال ان دخول الايطاليين الى رومية سبَّب للاب سكي مشاكل عديدة واكدارًا لا تحصى. الَّا انَّ هذه الظروف نفسها بيَّنت ما كان لهُ من المقام حتى في قلوب اعدائهِ. ولمَّا نُهبت المدرسة الرومانيَّة سمحت الحكومة الجديدة للاب سكي ان يبقى في مرصدهِ الموسوم بالمرصد البابويّ. ثم حاول الايطاليُّون ان يفصلوا الاب سكي عن اخوتهِ اليسوعيين ومنَّوهُ بالمواعيد الحسنة والألقاب الشريفة الَّا انَّ ذاك الراهب

التي لم يكن لينخدع بالدنيا واباطيلها فأبى هذه المواعيد (١ وآثر ان يعيش مجهولًا كأخوتهِ فقضى بقيَّة حياتهِ معتزلًا في مرصدهِ كالراهب في قلَّايتهِ

وكانت الأيام مع ذلك تتثاقل على كاهلهِ وتهدُّ ركن قواه. وفي كانون الاوَّل من سنة ١٨٧٧ ارسلهُ الاب بكس رئيس الرهبانيَّة اليسوعيَّة العامّ الى حدائق فيازولي ليأخذ فيها نصيبًا من الراحة. لكنَّ مقامهُ فيها لم ينفعهُ وتحقَّق الاطبَّاء انهُ مصاب بقرحٍ في معدتهِ لا تنجع فيهِ ادويتهم. فعرف الاب سكي بدنوّ اجلهِ ولم يرهب الموت اذ كان كالعبد الامين الذي ينتظر سيّدهُ ليفتح لهُ. وغاية ما كان يتحصَّر عليهِ قبل وفاتهِ انَّ اشغالهُ العلميَّة لم تسمح لهُ بخدمة النفوس بالوعظ وتوزيع الاسرار لكنَّهُ كان يتعزَّى لدى تفكرهِ بانهُ لم يطلب في اعمالهِ العلميَّة سوى مجد الله وخير الكنيسة

واسلم روحهُ الطاهرة ليد خالقهِ الذي مجَّدهُ بتعريف اعمالهِ في عشاء اليوم ٢٦ من شهر شباط من سنة ١٨٧٨ وذلك في الشهر نفسهِ الذي توفي فيــهِ البابا بيوس التاسع الذي نشَّط دروسهُ وساعدهُ في توسيع نطاق مرصدهِ

وعدَّ موتهُ كمُصاب عموميّ واسفَ لفقدهِ ليس اخوتهُ فقط الذين اختبروا فضائلهُ الرهبانيَّة لكن العالم العلميّ باجمعهِ. واقيم لراحة نفسهِ في امكنة عديدة حفلات دينيَّة كانت كلها كانتصار لإخاء العلم والدين

وكانت ابهى هذه الحفلات حفلة عُقدت في ١٣ نيسان حضرها كثير من ائمَّة الدين ورجال العلم ووجوه رومية وكان جُعــل حول ضريحهِ الشارات العلميَّة المشيرة الى اعمالهِ. وكان في وسطها هذا الشعار الذي هو كملخَّص اعمالهِ: « انَّ الطريق المؤدّية من منظر السماء الى الله لقريبةٌ » اجل انَّ الاب سكي توغَّل في درس السـماويات الَّا انَّ الاجرام الفلكيَّة كانت لهُ كسلَّم ادَّت بهِ الى الخالق سبحانهُ وتعالى فرأى الله في اعمالهِ حتى في هذه الارض قبل ان يشاهدهُ في دار خلدهِ مدى الدهور

---

١) وعليهِ فلا صحَّة لما كتبهُ المقتطف في سنتهِ الثالثة اذ قال (ص ٢٨٥): « ان الحكومة قدمت للاب سكي اموالًا جزيلة لتوسيع اعمالهِ فقبل ذلك اوَّلًا ولكن رئيس الجمعية اليسوعية امره بالاستعفاء فاستعفى ». ولدينا كتاب من الاب سكي نفسهِ ينقض هذا القول

الطوائف الشرقيّة وبدعة الكلوينيين

في الجيل السابع عشر (لاحق بسابق)

للاب انطون ربّاط اليسوعي

ذكرنا في مقالة اولى نص شهادتين لبطريرك الاقباط ينكر فيهما على الهراطقة الكلوينيين مزاعمهم ويناضل عن معتقد طائفته مقرًّا بالاسرار السبعة وعلى الخصوص بسرّ القربان الأقدس ومشاركًا الكنيسة الكاثوليكيّة في عقائدها جمعاء خلا مسألة الطبيعتين على زعمه وان اقرّ بها معنًى لا لفظًا

بقي علينا الآن ان نتتبّع جلّ ما بعث به مسيحيو سوريّة من الشهادات مكتفين بايراد بعض فقرات من اقوالهم. واول من عني بهذه المعاريض وشهد بصحّة ايمان المعاصرين من الشرقيين المسيو فرنسيس پيكات (Fr. Picquet) الشهير فان المومأ اليه لمّا كان قنصلًا لدولة فرنسة في مدينة حلب سنين طوالًا قرَّبتهُ وظيفتهُ من الاكليروس والشعب المسيحي فعرف احوالهم حق المعرفة وبعد ان خدم وطنهُ والدين الكاثوليكي خدمًا جليلة زهد في الدنيا وعاد الى بلاده ثمَّ أُرسل بصفة قاصد رسولي الى بلاد العجم حيث توفاه الله في همدان في ٢٥ اب سنة ١٦٨٥!

فلمَّا كان پيكات في ليون سنة ١٦٦٧ بلغهُ ما ينسبهُ البعض كذبًا الى الشرقيين بخصوص القربان الأقدس فكتب الى متولي طبع كتاب « دوام اعتقاد الكنيسة » ما تعريبه :

« قد اقمتُ في الشرق ثمانية او تسعة اعوام وخالطتُ كثيرًا مسيحيي الشرق وحضرت احتفالاتهم في كنائسهم فرأيتهم يكرّمون ويعبدون السر المقدس تحت الاعراض. . . وان اراد المخالفون برهانًا فاستطيع ان آتيهم بشهادات بطاركة الروم والارمن والسريان واليعاقبة والنساطرة حتى الاقباط والاحباش. . . ان ايمان الشرقيين في سر الوجود الاقخارستي والاستحالة امر لا ينكره الّا المعاند حتى ان المسيحيين هناك اذا ارادوا ان يعيبوا الهراطقة من الفرنسيين ويسبُّوهم يقولون لهم: انتم من الذين لا تؤمنون بالافخارستيا »

ولمَّا لم يرضَ الكلوينيون بكلام پيكات. توصل هذا بعد اشهر الى الحصول على بعض شهادات بواسطة خانه في حلب القنصل فرنسيس بارون وهي رسائل من بطريرك الارمن وبطريرك السريان ومن النائب البطريركي على الروم تُحفَظت النصوص الاصليَّة في مكتبة دير القديس جرمانوس للرهبان البندكتيين في باريس وهـذا ملخَّص هذه الرسائل نكتفي بالتلميح اليها تباعاً حسب تاريخ صدورها نقلًا عن ترجمتها الاصليَّة المطبوعة في كتاب « دوام اعتقاد الكنيسة » مؤلّفين النفس بالعود الى ذكر اصحابها في فرص اخرى ان مكنتنا الظروف

﴿ شهادة الطائفة السريانيَّة ﴾ تاريخها ٢٩ شباط ١٦٦٨ تحتوي ثمانية بنود ملخصها صدق عقيدة الوجود الافخارستي والاستحالة وحقيقة الذبيحة في القداس واكرام القديسين وصحَّة الكهنوت وسلطة الكنيسة في الامر بالقطاعة والصوم وحرم من عاند الحقّ. وهذا الاقرار . وقع باسم اندراوس بطريرك السريان والمطران بهنام وعشرة كهنة من السريان. ويليه كتابة لفرنسيس بارون قنصل فرنسة وهولنـدة في حلب يشهد ان التواقيع المذكورة قد كتبت بمرأى منهُ في حلب

﴿ شهادة الطائفة الارمنيَّة ﴾ تاريخها اول اذار ١٦٦٨ (سنة ١١١٧ للارمن) في مدينة حلب ومضمونها كما في الشهادة السابقة سرّ الاستحالة والقداس وتكريم القديسين والكهنوت والصوم وحرم الهراطقة الكلوينيين. اماَّ التواقيع فهي للاساقفة عازاريا ويوحنّا وغريغوريوس وستة كهنة مع اثبات حقيقة التواقيع للقنصل بارون

﴿ شهادة طائفة الروم ﴾ تاريخها ٤ حزيران ١٦٦٨ في حلب فيهـا يذكرون « ان بعض الكهنة المرسلين الافرنسيين الاجلاَّء جاؤوا الينـا يسألونا ان نبيّن لهم علناً ايماننا بشأن سرّ القربان والاستحالة ... الخ » . ويلي قولهم الاقرار بهذه العقائد. والشهادة موقعة بامضاء الخوري نيوفيتوس وكيل البطريرك الانطاكي مكاريوس وخمسة كهنة من الروم المقيمين بحلب

هذه هي الرسائل الاولى التي بلغت پيكات وهو عندئذٍ في ليون فبعث بها حالًا الى مؤلفي الكتاب الذي سبق ذكرهُ ثم ألحقها بعد مدة برسالة تاريخها ١٧ آب ١٦٦٨ قال فيها :

« ان اصحاب الشهادات بعضهم قد دخلوا منـذ امد قريب في حضن الكنيسة الكاثوليكية

وبعضهم لا يزالون على حالهم ترأف الله عليهم بنعمته. لكني اوكد امرًا واحدًا وهو انهم متفقون اتفاقًا تامًا في ما شهدوا به وكل احد منهم مستعد ان يشهد بهذه العقائد ويثبتها ولو كان مخالفًا للكنيسة الرومانيّة او مبتدعًا عنها. وان ادّعى احد ان اصحاب الرسائل كلهم خاضعون للكرسي الرسولي وجب عليهِ ان يقول ان المسيحيين في حلب او على الاقل كلّ الاساقفة والكهنة في هذه المدينة هم كاثوليكيون – وهذا جلُّ رغبتي الّا انهُ ليس بصحيح – فان المرسلين رغمًا عن تعبهم وكدّهم الدائم منذ زمن طويل في هذه البلاد لم يكتسبوا الى الكثلكة الّا القليلين من الروم والارمن. وكذلك بطريرك السريان فانهُ كاثوليكي مع نحو نصف طائفتهِ. وساحصل على شهادة من بطريرك الروم الانطاكي الذي يقيم تارةً في حلب وتارةً في دمشق امّا الان فهو في بلاد المسكوب. وكذلك بطريرك الاسكندريّة . . . »

ولم يكتفِ بيكات بهذه الرسائل لكنهُ سعى بواسطة خلفهِ القنصل بارون والمرسلين فتمكن من الحصول على شهادات جمّة. وفي اثناء ذلك امر ملك فرنسة سفيره في الاستانة ان يطلب الى رؤساء الكنائس الشرقيّة المقيمين في العاصمة ومن غيرهم شهادة ايمانهم في العقائد الجاري عليها الجدال. فبعث السفير الى مالكه بعدد منها كلها صوت واحد في صحّة الايمان الكاثوليكي وفي نبذ البدع الجديدة ومنها رسائل عديدة لبطركي الروم القسطنطيني والاورشليمي والاساقفة اللاحقين بهما وتاريخ هذه الرسائل سنة ١٦٧١ و١٦٧٢ نكتفي بالتلميح اليها

﴿ شهادة الطائفة المارونيّة ﴾ في ١٢ حزيران ١٦٧٣ بعث البطريرك اسطفان الدويهي بشهادة ايمان طائفته وهي طويلة لكنّا نأسف لعدم حصولنا على نصها العربي الاصلي فنكتفي بتلخيصها نقلًا عن الترجمة الافرنسيّة

فقد استهلّ كلامهُ بآية بطرس هامة الرسل حيث قال: كونوا مستعدين دائمًا للاحتجاج لكل من يسألكم حجج الرجاء الذي فيكم (١ بطرس ٣: ١٥). ثم ذكر افتراء الكلوينيين على كنائس الشرق وان السنيُر دي نوانتيل ارسل اليه المرسل اليسوعي الاب ميخائيل [نو Nau] للحصول على شهادة ايمانهم

وبعد هذه المقدمة فصلٌ ذكر فيهِ البطريرك العلامة ان الطائفة المارونيّة كانت بلا انقطاع ولا تزال حافظة الايمان الصادق خاضعة للكنيسة الرومانيّة امّ الكنائس. ثم ذكر في ١٥ بندًا ايمان الموارنة والطوائف الشرقيّة خلافًا لمزاعم المبتدعين في شان الافخارستيا والذبيحة الخلاصيّة (وهنا يذكر الدويهي انهُ عازم على نشر كتاب في القداس واظنهُ منارة الاقداس الذي نشرهُ

في مطبعتنا جناب الكاتب البارع رشيد افندي الشرتوني) والمناولة والكنيسة والصوم والايقونات وسرّ الاعتراف والكهنوت وتكريم القديسين وفضل العيشة الرهبانيَّة وختم هذا الشرح باقراره « انهُ وجميع الموارنة يقبلون ما تقبله الكنيسة الرومانيَّة ويرفضون ما ترفضهُ ». الى ان قال : « امَّا الامم المسيحية المتفرقة في انحاء الشرق فانها تختلف في بعض الامور عنا وعن الكنيسة الله الجامعة الرسوليَّة لكنها تؤمن ايمانًا ثابتًا بالبنود الخمسة عشر التي سبق لنا ذكرها وذلك عن صدق سريرة وثبات جنان »

أُعطيت في قنوبين ١٢ حزيران ١٣٨٤ للاسكندر الموافقة لسنة ١٦٧٣ مسيحية

يلي ذلك توقيع البطريرك وتواقيع مطران العاقورة ومطران جبيل ومطران صيدا وتسعة من الكهنة . وبعد ذلك شهادة للشيخ نادر ابي نوفل الخازن قنصل فرنسة في بيروت ولفياض بن نادر الخازن وهما يقرَّان بالتعليم عينه

❁ شهادة البطريرك مكاريوس ❁ ذكر پيكات رغبته في الحصول على شهادة هذا البطريرك الشهير وقد اسعدنا الحظ بالوقوف عليها في مكتبة باريس ولمَّا كانت الشهادة طويلة تملأ ٢٢ صفحة في الاصل وكان لها شأن لتبيان بعض المسائل الدينيَّة والتاريخيَّة آثرنا نشرها بالحرف في فرصة أُخرى ان شاء الله

طرفة

في تاريخ الكنيسة بالحبشة

لجناب الصيدلي القانوني عبد الله افندي مخائيل رعد المتخرّج في مكتبنا الطبي (تتمَّة)

النيابة الرسولية في الحبشة والكالا

رحل الى الحبشة سنة ١٨٣٦ رحلةً علميَّة شابان افرنسيَّان من عائلة شريفة يدعيان « انطوان وارنو دي ابادي » وكانا اخوين غير ان العناية الالهيَّة اعدَّت احدهما انطوان الذي كلنه تقيًّا ليكون مبشرًا متلمذًا ويسعى في امتداد ملك المسيح . وكان الاحباش

وخصوصاً الكالاّ الوثنيون يجلّونهُ ويعتبرونهُ بالنظر لفضائلهِ واعمال الرحمة التي كان يجريها بينهم وطارت شهرته حتى الى بلاد الكافاّ وكان الجميع يظنونهُ كاهناً فيأتونهُ زرافات طالبين اليهِ ان يباركهم وكانوا يدعونهُ « أبا دنّيا » اي كاهن الاله

فلمّا رأى انطوان اقبال الجمهور الوثني على اعتناق الديانة المسيحية عمد على ان يستدعي لهم المرسلين الكاثوليك فقال هذا الرسول العالميّ لرؤساء الكالاّ : اذا اتيتُ بكهنة اجلاء من البيض يعامونكم ويرشدونكم ويباركونكم كيف تعاملونهم ؟ فاجابوه كلهم : « نسكنهم بيوتنا ونذبُّ عنهم برماحنا ونعطيهم اراضي وعبيداً ومواشي ولكن بشرط ان يعرفوا القراءة والكتابة وان يعبدوا إلهاً واحداً » . فلبّى المرسلون دعوة انطوان الصدّيق واتوا اليهِ باسرع ما امكنهم وقام رؤساء الكالاّ بوعدهم لانطوان

واول من كان لبّى دعوة المسيو دي أبادي لتبشير الحبشة المرسلون العزاريّون الايطاليّون. وكانوا ثلاثة رئيسهم الاب جوستين دي جاكوبيس ونزلوا في مصوَّع سنة ١٨٣٩ . ثمَّ اقتسموا بينهم العمل فرحل الواحد الى كوندر واحتلَّ الاب دي جاكوبيس (١ مدينة عدوى فقام ببشارة الانجيل احسن قيام وكان هذا الاب جليل الفضل سامي البرارة متهباً غيرة للنفوس وكان الحبش يدعونهُ بالقديس وقد استمال اليهِ قلوب الاهلين فاعاد منهم الى حضن الكنيسة الكاثوليكية عدداً ليس بيسير وكان ملك تكره المدعو اوبيا ممَّن يُسَرُّون بتعاليمهِ ويعضدونهُ في عملهِ

وفي تلك الاثناء رقى قداسة البابا غريغوريوس السادس عشر الاب الفاضل غليوم ماسايا (Massaïa) .من رهبنة الكبوشيين الى درجة اسقف وسماهُ نائباً رسوليّاً على بلاد الكالاّ وذلك في شهر نيسان سنة ١٨٤٦ وكان هذا الاسقف الصالح اول نائب في الحبشة لممثل المسيح على الارض وكان ممتازاً بفضائلهِ وعُرِف خصوصاً بدَعَتِهِ وحكمتهِ وبساطتهِ وصبرهِ ومثابرتهِ على العمل فجاء كفاتح عظيم لقلوب البرابرة . وبما ان منشئ هذه الرسالة المسيو دي أبادي كان افرنسيّاً ومحباً جداً لدولتهِ قامت فرنسة بنفقات الرسالة وقدمت للسيّد ماسايا كل مطاليبهِ واحتياجاتهِ امَّا الرهبان المساعدون لهُ فكانوا

١) وكان الاحباش يدعونهُ « يعقوب » كما انهم كانوا يدعون ايضاً السيد ماسايا « ابونا ماسيّا » . اما كلمة ابونا فهي لقب الاساقفة في الحبشة وكذلك لقب أبّا يُعطى في هذه البلاد للكهنة

في اوَّل الامر ايطاليّين وهم الآباء فاليشيتيمو وسيزاريو وجوستو ثمَّ من دول مختلفة حتى غلب عليهم العنصر الفرنسويّ وفي سنة ١٨٦٣ صدر بتاريخ ٧ كانون الثاني رقيم بابوي يقضي بان تكون الرسالة في بلاد الكالا مؤلفة من الفرنساويين فقط وهي كذلك الى يومنا هذا ودخل السيد ماسايا مع المرسلين الجهة الغربيَّة من الكالا والكافا وعلّموا وتلمذوا ومكثوا هناك مدة ثلاثين سنة بين ظهراني هاته الامم المرتشدة وبنوا كنيسة وسط الحقول وهكذا قضوا حياتهم بين جهاد وبشارة حتى توفاهم الله الواحد بعد الآخر فدفنوا في الكنيسة التي بنوها

ولم يزل الاب دي جاكوبيس ساعياً في التبشير مجدًّا في فلاحة كرم الربّ الى سنة ١٨٤٥ . وكان في تلك الاثناء عاد الى اوربَّة ليوسّع نطاق الرسالة ثمَّ يجلب معهُ عَمَلة جدًا فما كاد يرجع الى رسالته حتى ثار على الكاثوليك اضطهاد عظيم وذلك انَّ بطريرك الاقباط كان ارسل الى الحبشة خلفًا لاسقفهم المتوفّى معاديًا للمرسلين يدعى « ابونا سلامة الثاني » فأخذ يناصب الكاثوليك والمرسلين العزاريين حتى ألزمهم بالخروج من ديار الحبشة وشتّت شمل المرتدّين

فبقي المرسلون يتنقَّلون من بلد الى بلد وهم ينتظرون الفرصة المناسبة لجمع رعيتهم. وفي اثناء ذلك رُقّي الاب جاكوبيس الى درجة الاسقفيَّة بامر الحبر الروماني. وسقَّفهُ سنة ١٨٤٨ السيد ماسايا الذي كان اتى منذ زمن قليل الى بلاد الحبشة كما مرَّ. ومذ ذاك الحين قسم مجمع انتشار الايمان رسالة الحبشة الى قسمين او نيابتين رسوليَّتين: نيابة الكالا وبلاد شوا تولّى ادارتها السيّد ماسايا مع الكبوشيّين ونيابة بقيَّة الحبشة عُني به العزاريون

ثمَّ خمدت مدَّة نائرة الاضطهاد بغيبة « ابونا سلامة » فانتهز المرسلون الفرصة الى ان يعودوا الى عدوى واخذوا يهتمُّون بشؤون الكاثوليك اذ رجع ثانية ابونا سلامة ونصب للسيّد دي جاكوبيس المكايد حتى توصَّل الى ان يصدر عليه حكمٌ بالسجن واما الكهنة اتباعهُ فضُربوا بالسياط وطُردوا قسوةً من كوندر. وفي هذا المقام يجدر بنا ان نقول كلمةً عن ابونا سلامة المذكور

كان هذا الانسان يرتّق في اسواق مصر ثمَّ ذهب والتجأ الى الانكليكان وبقي عندهم نحو سنتين في خلالها اراد هؤلاء ان يرسلوه كمبشر الى

الحبشة ولكن بالنظر لكثرة الصعوبات التي حالت دون اتمام رغبتهم توسطوا لهُ اولًا بالرجوع الى طائفته حتى قبلهُ البطريرك وسامه كاهنًا ثم بعد ذلك انتُخب على يدهم اسقفًا على الحبشة فسافر اليها مصحوبًا باموال كثيرة منهم وهدايا جزيلة للملك وقد اتفق معهم بان يكرز هناك بشيعتهم وهكذا حدث. واذ لم يرَ هناك من يعوقهُ سوى الاسقف الكاثوليكي المار ذكره والكهنة الكاثوليكيين فناصبهم واجتهد بابعادهم. ثم خلا لهُ الجوّ فاخذ يبث تعاليمه التي اتى لاجلها فهاج عليه الحبشة وملكهم ثيودوروس لمَّا سمعوهُ يجاهر بالكلام ضدّ السيّدة العذراء وبعض القديسين. وقبضوا عليه وكبَّلوه بالحديد وسجنوهُ في قلعة مكدلا حيث بقي الى نهاية حياته وأُطلق سراح السيد دي جاكوبيس.

غير ان الاسقف سلامه لم يخلُ في ايَّام سجنه من انصار كانوا يأتون اليه سرًّا ويتشربون من كلامه بغضًا وحنقًا على الكاثوليكيين فعملوا مكايد للسيد ماسايًا حتى انَّهم اوشكوا يومًا ان يقتلوه بينما كان صاعدًا للبشارة في احد جبال التكره لكنَّ ارفاق هذا السيد علموا بالفخ المنصوب فربطوا حقويه بحبل وانزلوه سريعًا وخفيةً الى الوادي فاختبأ ومن هناك جاهد. ومشى ايَّامًا ولياليَ حتى وصل مصوَّع حيث ركب البحر واتى عدن فاستقبلهُ فيها القنصل الفرنساوي المسيو دكوتين (M^r Dégoutin) وطيب خاطره وابقاه عنده.

واهتمَّ السيد ماسايا ابان اقامته في عدن في توسيع نطاق الرسالة الكاثوليكيَّة هناك وساعدتهُ على ذلك الحكومة الانكليزيَّة اجابةً لرغائب عسكرها الارلنديين الكاثوليكيين وبنت كنيسة جميلة ومدرسة للرسالة حيث يعلّم المرسلون اولاد اللاطين والهنود والوطنيين الغوانيين وغيرهم المقيمين في هذه البلدة وضُمت رسالة عدن الى النيابة الرسوليَّة الحبشيَّة حتى سنة ١٨٨٢. لكنَّ السيد المشار اليه لم يبرح مع ذلك ذكر اولاده في الحبشة نصب عينيه وعانى مرات عديدة الأتعاب والاخطار في العودة الى الحبشة فلم يتمكَّن من ذلك لانَّ اعين انصار سلامه كانت لهُ بالمرصاد. واخيرًا تزيَّا بزي التجار واتى متخفيًا حاملًا بعض الاقمشة الى التكره محفوفًا بالمشقات وقد اضنكهُ المشي وكان ذلك سنة ١٨٥٢ وسمى نفسهُ جورج بارورتلي وهكذا توصَّل الى الرجوع فيما بين ارفاقه في جهات الكالّا وكان قد علم بذلك المرسلون فاوفدوا الاب جوست

ليفتش عنهُ قبل وصولهِ فتعرَّض انصار سلامه لهذا الاب على الطريق وارسلوه مكبَّلًا الى السودان حيث اعترتهُ الحمَّى الخبيثة وتوفَّاه الله على اثر هذا المرض في مدينة الخرطوم. ولهذا المُرسل قاموس فرنساوي حبشي لم تزل نسختهُ الخطيَّة محفوظة في مكتبة مجمع انتشار الايمان برومية العظمى



السيّد دي جاكوبيس العازاريّ رسول الحبش

وفي هذه الاثناء جاء الى الحبشة مُرسل فرنساوي من رهبنة العازريين لكنهُ قُتل قبل وصوله الى بلاد الكالا ومات شهيدًا وذلك في بلدة ماتاما سنة ١٨٥٤. وكذلك الاب لاون الساڤوازي بقي تسع سنين تائهًا من مكان الى مكان على شواطئ البحر الاحمر والبحر الهندي ولم تنجع لهُ وسيلة لقطع القفار الصومالية القائمة بين الرافي والحبشة فاضطرَّ اخيرًا الى ان يُبحر الى جزائر السيشل والى الزنجبار حيث أسس الرسالة

الكاثوليكيَّة هناك وسلّمها لآباء رهبنة الروح القدس ثمَّ تمكَّن من الرجوع الى الكالا وقضى بقيَّة أيامه في رسالة الحبشة التي كانت قد ازهرت واتت بثمار شهيَّة لان نور التعاليم الحقيقيَّة كان قد سطع في جهة الكالا



الكردينال ماساياً رسول الكالا

وذلك انَّ المرسلين بعد ان زرعوا مدَّة طويلة بالنَّصب والكدّ جعلوا يحصدون بالفرح واصبح السيد ماسايا ورفقتهُ ليس فقط معلمين ومعمّدين بل ايضًا كقضاة لفكّ مشاكل الشعب وكان الكل يرضون بحكم السيد المشار اليه المتسلي من الحكمة. حتى انهُ في بلدة ساكا من مقاطعة الكالا حيث كان مقر النيابة الرسوليَّة كانت الحكومة نفسها تضرب على الطبول في كل يوم صباحًا قبل وقت القداس الالهي لكي تنبّه المسيحيين ان قد حان وقت الصلاة (لعدم وجود اجراس في هذه البلاد). ولمَّا فشا مرض الجدري في ذلك الاقليم ارسل السيد ماسايا فاستحصل من

فرنسة على كميَّة من انابيب المطعوم وقام بنفسه بتطعيم الاولاد والمرضى بعد ان ارسل كل رهبان الرسالة الى الجهات للخدمة نفسها فتقلّص هذا الداء سريعاً من الاقاليم وزادت محبة هذا الطبيب الصالح في قلوب الاهالي حتى ان كثيرًا من الامراء والرؤساء جاؤوا الى السيد المذكور واعتمدوا من يده وكان قد رقّى ايضاً الى درجة القسوسيَّة عددًا وافرًا من الاحباش والكالًا وارسلهم الى القرى ليقوموا بوظائف الكهنوت. واذ قد دعت هذا الحبر الجليل اشغال الرسالة للاتيان الى اوربّة قبض عليه في الطريق جماعة من مضطهدي الكثلكة وغلّاوهُ بالحديد واتوا به الى الامبراطور ثيودوروس الذي عرفهُ وتعجب من دعته وحكمة اجوبته فاطلقهُ من الاسر واكرمهُ كثيرًا وارسل معهُ قافلةً مؤلفة من عساكر وخدام ليصحبوه الى المرفأ البحري (١. وقبل سفره طلب اليه الامبراطور المذكور ان يباركهُ ويبارك عائلته وجيشه ففعل ذلك هذا الحبر الصالح بكل سرور

وبعد سفر السيد ماسايًا الى اوربّة حدثت ثورة في الحبشة ساعد فيها الانكليز امراء الحبشة على الامبراطور ثيودوروس للارب لهم فهلك هذا النجاشي وتبوأ سرير المملكة الامبراطور « سلاح سلاسيه » جد النجاشي الحالي من العائلة السليمانيَّة وظهر حينئذٍ منليك ابن ابنه « هايلو ملكوت ». وكان هذا الشاب مختفياً من وجه ثيودوروس يعيش متنكرًا ويدعو نفسهُ « سلاح مريم ». فقلّده جدّه مُلك مقاطعة الشوا تحت سلطته فاظهر فيها حلماً وحكمة وشجاعة وميلًا للمرسلين الكاثوليكيين. وممَّا يذكر عنهُ كتاب ارسلهُ الى السيد ماسايًا الذي كان وقتئذٍ بروسيلية مشتغلًا بامور الرسالة واليك ترجمة الكتاب بالحرف الواحد

« كيف صحتك؟ اتمنى لك عافية جيدة. اماَّ انا فان صحتي حسنة وكذلك اهل بيتي. وصلني كتابك والبُرنس الذي ارسلتهُ لي. انا احبك بالمحبة نفسها التي انت تحبني لذلك اشاء ان تحضر الى مملكتي باسرع ما يمكنك. قد ارسلت رقيماً الى صديقي ابي بكر (١ لكي يهتمّ بامر

١) قرأنا مطوَّلًا في مخطوطات السيد ماسايا وارتقائه عن كيفية اسرهم والعذابات التي لاقوها من مضطهديهم ووصولهم الى حضرة الامبراطور وكذلك قد اطّلعنا على الاسئلة التي طرحها عليهم هذا الملك واجوبة السيد السديدة لهُ وكيف عرفهُ لما كان قائدًا على ايام سالفه الراس علي والامكنة التي اجتمعوا فيها سويةً الى غير ذلك من التفاصيل التي لا يسعنا المقام هنا على ذكرها مطولةً .

سفرك باسرع ما يمكنهُ. ومتى اوصلك الرب سالمًا الى مملكتي فاننا نتحدث سويةً عمّا نريده انا واياك. قد ارسلت الى المرفأ رجلًا اعتمد عليهِ (٢ فهو ينتظرك ويفيدك عن جميع ما تسألهُ اياهُ وكذلك يطمنك عن صحتي وصحة اهل بيتي. فليطل الله حياتك

(محل الختم)
اسد سبط يهوذا المنتصر
منليك (٣ ملك الشوا



النجاشي منليك الثاني ملك الاحباش

فاجابه السيد ماساّيا حالًا الى طلبه وسافر برفقة عدد من المرسلين الكبوشيين الذين انتقاهم من اعلم الرهبان واجزلهم صبرًا على المشقات والينهم عريكة ومنهم الاب تورين (P. Taurin) حتى اتوا زيلع ومنها سفّرهم ابو بكر الى ليشه عاصمة الشوا

١) ابو بكر كان امير زيلع وتجّرهُ وكان منليك ملتزمًا بصداقته كي لا يقطع عن الشوا طريق القوافل والمسافرين

٢) هذا الرجل هو من اتقى الاحباش الكاثوليك اسمهُ « أتّو مرشا » وهو اليوم حاكم دريداوا وقد عرفناه بنفسنا لمّا كنا في هذه البلدة

٣) تعريب كلمة منليك: « من هو مُعادلي »

التي وصلوها في ٦ اذار سنة ١٨٦٧ بعد ان قاسوا في طريقهم من الحرّ والظماء والأتعاب ما يطول شرحهُ فاستقبلهم منليك استقبالًا ملكيًا في بلاطه واعطاهم مؤونةً وقام بكل حاجاتهم ومن هناك ذهبوا الى الكالا. وبعد ذلك استدعى الملك السيد ماسايا واعطاه بالقرب منهُ في فنفيني (وهي اديس ابابا الحاليَّة (١) مركزًا جميلًا ليشيد هناك بيتًا للرسالة فقبل ذلك هذا الحبر الجليل بتشكر ورقّى الاب تورين المذكور الى درجة اسقف واقامه هناك فناح بنشاط كرم الرب واستمال اليه القلوب حتى انهُ بمدةٍ وجيزة ضمَّ الى الكنيسة الكاثوليكيَّة عددًا كبيرًا من السكان وكثيرًا من الاكليروس الحبشي الاوطيخي وكاد الملك نفسهُ ان يعتنق الديانة الكاثوليكيَّة لولا خوفهُ على مقامه في المملكة من ان يُطرد من الاحباش لكنهُ كان ميَّالًا جدًّا للمرسلين وكل الشعب الكاثوليكي وكان يجتهد بكل ما يمكنهُ من الوسائط لكي تعمَّ الكثلكة في الشعب ولا يعود على احدٍ خوف من اعتناقها. وفي هذا العهد ذهب اثنان من الكهنة المرسلين وهما الاب داماسين والاب الكسيوس للرسالة في الجهات الحبشيَّة المجاورة للسودان. غير انهما لاقيا من المتاعب وسوء المناخ ما اضرَّ بصحتهما فتوفيا بالحمَّى في تلك السهول الموبوءة وكانت وفاة الاوَّل سنة ١٨٧٦ والثاني سنة ١٨٧٧

لم يجلس سلاح سلاسيه على عرش الامبراطوريَّة الحبشيَّة مدة قليلة حتى قام اهالي التكره وتحاملوا على اهالي الامحرا فغلبوهم واقاموا بدلًا من سلاح سلاسيِّه «أتي يوحنس» التكري امبراطورًا فخاف حينئذٍ منليك ملك الشوا وجمع تحت سلطته كلّ اهالي الكالا والشوا واراد ان يقاتل بهم الامبراطور الجديد ليأخذ بثأر جدّه غير ان الظروف لم تمكنهُ من ذلك. فطغى يوحنس وبغى واضطهد الكاثوليك والمرسلين والزم منليك بابعاد الرهبان من مقاطعته فاستدعى هذا الملك السيد تورين قائلًا لهُ: «ان الامبراطور قد عزم بان يرسلهُ ورهبانه الى اوربَّة مندوبين من قبله لمهامَّ تخص المملكة ففهم هذا السيد قصد الملك وتأهب مع ذويه للرحيل من بين قطيع الرب الذي تعبوا لجراسته ووعدهُ منليك بانهُ يحافظ على الكاثوليك الوطنيين الى ان تسمح لهُ الظروف باعادة الرسالة الى حالها. واذ سافر كل رجال الرسالة بعث

(١) اديس ابابا اي الزهرة الجديدة

الامبراطور يوحنس رقيباً سرّياً الى قائد حملتهم بان يأخذهم الى جهات السودان من الطرقات الاكثر وعورة واقل ماء وافسد هواء حتى يهلكوا تحت ثقل الاتعاب والعطش وتميتهم الحمّى الصفراويّة الضاربة اطنابها في تلك المقاطعة. فلم يصلوا الى كسلا على ظهور الجمال حتى اضنكتهم الحمّى فاستقبلهم هناك في بيته رجل مثرٍ من السوريين الموارنة وادّى لهم بكرم ما يحتاجون اليه من وسائل الراحة والعلاجات لاسترجاع صحتهم وقواهم. ولكن توفي منهم مع ذلك ثلاثة من الرهبان بالحمّى وكان اذ ذاك السيد ماسايا قد تقدم في الشيخوخة اذ ان سنيه قد بلغت السبعين وكانت قد هدّت قواهُ الأتعاب مدّة ٣٥ سنة من رسالته. ولمّا جاء رومة (سنة ١٨٧٩) انعم عليه قداسة البابا لاون الثالث عشر المالك الرحمات بارجوان الكردينال. وهكذا قضى آخر سنيّ حياته معتزلاً منصبّاً على العبادة والاصوام كناسك حتى توفاه الله في عاصمة الكثلكة في ٦ آب سنة ١٨٨٩. وقد زار ضريحهُ سعادة الراس مكونين عند زيارته هذه العاصمة موفداً من قبل نسيبه النجاشي منليك الثاني

وبعد دعوة السيد ماسايا الى رومة سمّي السيد تورين نائباً رسولياً على بلاد الكالا سنة ١٨٨٠ فعاد وصحبتهُ مرسلون جديدون ركب معهم متن البحار في مرسيلية الى عدن ومنها اتوا هرر عن طريق زيلع فوصلوها في ١٨ آب سنة ١٨٨١ وفُتحت لهم ابواب هذه المدينة بتوصية من خديوي مصر كان قد اعطاها للسيد تورين (لان هرر صارت تحت نظارة المصريين بعد موت اميرها نور) غير ان هذا القطيع الانجيلي بقي في هذه المدينة مدة ست سنوات في حالة الضنك المتواصل ولم يتمكن من انشاء بيت للرسالة لا بل في سنة ١٨٨٦ اصدر امير هرر(١) امراً بقتل السيد تورين ارضاء لرئيس اساقفة الاحباش الاوطيخي وبنفي الكهنة اتباعه غير ان والدة الامير توسطت عند ابنها فألغى هذا الامر وابدلهُ بنفي الرسالة الكاثوليكيّة فقبل الامير توسلات امهُ واضطرّ المرسلون بان يخرجوا من المدينة عائدين الى زيلع واميرها ابي بكر الذي مر ذكرهُ. ولكن بعد ذلك عاد ثلاثة من هؤلاء المرسلين وهم الاب لويس الغوتراغي المعاون للسيد تورين

(١) هذا الامير حي الى اليوم معتزل بهرر في دار بنتهُ عائلتهُ وقد نظرتهُ مرات يتنزه على سطح الدارة المجاور للمستشفى وخادمتهُ فالغيتهُ نقياً. واسمهُ عبد الله وهم يقولون عبد اللاهي (Abdullaï)

والاب يواكيم والاب فردينان متردين باثواب العامة فدخلوا الشوا حتى وصلوا الى الملك منليك. ولما علم برجوعهم الامبراطور يوحنس تهدد منليك بان ينزع عنه الملك ان لم يطردهم فاطاع هذا الملك امر مولاه وارجعهم مرغوماً بتجلة واكرام الى حيث اتوا. ورقي بعد ذلك الاب لويس المذكور الى الدرجة الاسقفية وعُيّن نائباً رسولياً على عدن

ثم حدث ان في ٦ ك ٢ سنة ١٨٨٧ مشى منليك بعسكره ليسترجع مدينة هرر من يد عبد اللاهي فانتصر في موقعة تشالانكو على مسيريومين من المدينة التي استرجعها تحت حكمه وكان وقتئذٍ الراس مكونين قائداً فرفعهُ الى درجة راس وسلّم اليه ولاية المدينة وكل المقاطعة اللاحقة بها ولم تزل تحت امرته الى اليوم. وفي تلك الاثناء هلك الامبراطور يوحنس في موقعة حصلت بينهُ وبين المهديين في جوار السودان وخلفهُ منليك ملك الشوا على السدة الامبراطورية تحت اسم منليك الثاني فانتهز هذه الفرصة السيد تورن وعاد الى هرر حيث استقبل على الرغد والراحة وأُعطي لهُ محلٌ لائق لبناء دير الرسالة

وكان بودّ منليك لمّا علا السدة الامبراطورية ولم يعد عليه من رئيس اعلى ان يعتنق الديانة الكاثوليكيّة ولكن حالت دونهُ عوائق شتّى واكبرها تعصب امرأته الامبراطورة « تايتو » وبغضها للكاثوليك ولعموم جنس الابيض فبقي يعقوبيًا غير انهُ اعطى الحريّة التامّة للمرسلين الكاثوليك في جميع انحاء مملكته وامر ببناء دير للراهبات في هرر فبني هذا البيت على احسن هندسة بالنسبة لبيوت هرر وأُتي من مدينة كالي من اعمال فرنسة براهبات فرنسيسكانيات فأسكنهنَّ البيت الذي أُعدّ لهنَّ واخذنَ بتعليم البنات وخدمة المرضى

وهكذا لم تزل الرسالة الكاثوليكيّة الى اليوم تنمو وتزهو ولا معارض حتى ان عدد الكاثوليك في الحبشة كل يوم يكثر ويزيد. وقد اظهر السيد تورين النائب الرسولي همّة وغيرة عظيمتين. واذ بلغ سنة ١٨٩٨ في مدينة هرر السنة الخامسة والعشرين من اسقفيته عيّدت لهُ المرسليّة مع الشعب الكاثوليكي عيدهُ الفضي وارسل لهُ الامبراطور منليك الثاني كتاب تهنئة بهذه المناسبة وكذلك انهى لهُ المسيو لاكارد الذي كان وقتئذٍ حاكمًا على مستعمرة أُبخ بنوط جوقة الشرف من درجة ضابط. وبعد هذا العيد دعتهُ دواعي الرسالة للمجيء الى فرنسة فتوفاه الله في دير الكبوشيين بمدينة كركاسون في

اليوم الأول من شهر ايلول سنة ١٨٩٩ وخلفهُ على سدة النيابة الرسوليَّة في الحبشة السيد اندراوس جاروسّو فارسل الامبراطور منليك كتاباً الى الرسالة في هرر اعرب فيهِ عن اسفه على وفاة السيد تورين وكذلك ارسل رقيماً الى السيد جاروسّو بفرنسة يهنئهُ بالمنصب ويؤكد لهُ محبته للكاثوليك ويعطيه ملء الحريَّة ليبشر ويتلمذ في كل انحاء الحبشة (١). والسيد المشار اليهِ محبوب جداً من الاحباش وصديق حميم لسعادة الراس مكونين . وقد زار مراراً الامبراطور الذي استقبلهُ بكل بشاشة وانس واعطاه في كل مرَّة جوازات لهُ ولرهبان رسالته ليتجولوا ويبشروا حيث شاؤوا في انحاء الحبشة مع تواص لرؤساء الاحباش في كل محل تطأهُ ارجلهم

امَّا الرسالة فقد تقدمت كلَّ التقدم على ايَّام السيد جاروسو وقد أُسست الرهبنة بهرر في ايَّام رئاسته وتحت حماية الراس مكونين مدارس للصبيان والبنات وميتم للجنسين ومستوصف للبرص واحضرت اخوة من رهبنة القديس جبرائيل لتعليم الاحداث في هرر وجيبوتي التابعة للابرشيَّة. وكذلك أُسست محطات للرسالة في انحاء كثيرة. والآمال منعقدة على زيادة تقدّم الكنيسة الكاثوليكيَّة في الحبشة بغيرة وكفاءة هذا الحبر الجليل اطال الله ايام رئاسته

هذه خلاصة اعمال رسالة الآباء الكبوشيين في الگالا التي اضيفت اليها في سنة ١٨٩٥ النيابة الرسوليَّة في مستعمرة البحر الاحمر الايطاليَّة. امَّا رسالة العازاريين فانَّها تقلَّبت بين اطوار مختلفة فانَّ السيّد دي جاكوبيس بعد اتعاب وهموم لا تُحصى مات سنة ١٨٦٠ موت اولياء الله وكان رجَّع الى الايمان نحو ٥٠٠٠ من الحبشة: ثمَّ جاهد اخوتهُ من بعدهِ الجهاد الحسن في سبيل الخير وصبروا على كلّ البلايا والمحن وممَّن اشتهر بينهم باعمالهم الخطيرة السيد توڤيار (Touvier) من سنة ١٨٧٤ الى ١٨٨٩. ومذ تلك منليك على الحبشة عاد المرسلون بغيرة جديدة الى مشروعاتهم الخيريَّة في الاغرا والتكره يساعدهم فيها راهبات المحبَّة اللواتي يجددن هناك عجائب اعمالهنَّ المبرورة من تربية اليتامى وتهذيب البنات والمدارس الصناعيَّة الى غير ذلك. ويبلغ اليوم عدد الحبش الخاضعين للسدَّة الرسوليَّة نيِّفاً وخمسين الفاً زادهم الله عدداً وفضلاً

١) وقد افادنا البريد الاخير انَّ منليك ارسل رقيماً الى قداسة الحبر الاعظم بيوس العاشر يهنئهُ بجلوسهِ على السدَّة البطرسيَّة خلفاً للبابا لاون الثالث عشر

في التاريخ الشعري

وتواريخ المنسنيور يوسف العلم

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

أطلعنا على جملة تواريخ شعريَّة نظمها سيادة المنسنيور يوسف العلم فسبكها سبكاً حسناً بلا تعسُّف ولا تكلُّف واودعها معاني لطيفة مبتكرة فرأينا ان ننشرها لقرَّائنا الكرام تفكيهاً لألبابهم وشحذاً لقرائحهم. ونقدّم عليهـا فصلاً وجيزاً في التاريخ واصلهِ وشروطهِ زيادةً في الافادة فنقول:

﴿ تعريف فن التاريخ الشعري ﴾ معلوم انَّ ترتيب حروف الهجاء كما هو اليوم في العربيَّة مستحدث امَّا ترتيبهـا الاصلي فباقٍ في اللغات الساميَّة القديمة كالفينيقيَّة والعبرانيَّة والسريانيَّة لا بل في اللغـات الهندوجرمانيَّة كاليونانيَّة واللاتينيَّة. يوافقهُ في العربيَّة ترتيب الابجديَّة

ثم ان في تلك اللغات لا تفيد حروفُ الهجاء تركيبَ الألفاظ فقط بل تُتَّخذ ايضاً للارقام الحسابيَّة منها افراد « ابجد هوز حطّي » ومنها عقود « كلمن سعفص » ومنها مئـات من المئة الواحدة الى المئة الرابعة « قرشت » . وكذلك الابجديَّة فانَّ العرب طالما استعملوها بصفة اعداد. ولمَّا كانت حروف لغتهم تزيد على لغات اولئك ستَّة حروف اردفوها بالابجد فركَّبوا منها كلمتين دعوها الروادف « ثخذ ضظغ » عدُّوا بها المئات الى الألف وهذا الحساب يُدعى عندهم الجُمَّل اي حساب حروف الهجاء. وهو قديم جدًّا كما ترى في مخطوطات ترقى الى القرن الثالث للهجرة . وهذا الحساب كان شائعاً بين العرب في اوائل الاسلام الى ان استبدلوهُ بالارقام الهنديَّة

ألَّا ان العرب لم يكتفوا باتخاذ حروف الهجـاء كارقام حسابيَّة وانَّما ركَّبوا حروف الجُمَّل تركيباً دقيقاً يُستفاد منهُ معنًى فضـلاً عن التاريخ الحسابيّ وقد دعوا ذلك بالتاريخ الحرفيّ وعرَّفوهُ بقولهم انهُ « هو ما دلَّ على ابتداء زمن بطريق جمل حروف معدودة او ما في معناها » . ثم ادخلوهُ في شعرهم فجعلوهُ فنًّا قائماً بذاتهِ دعوهُ التاريخ الشعري ونظموهُ في انواع البديع

﴿ اصلهُ ﴾ لم يعرف الزمان الذي جعل فيهِ العرب يتّخذون الألفاظ كدلالة على تاريخ معلوم. قال الابياري في سعود المطالع (٢ : ٢٦٤) : « قد رأيتُ في بعض التواريخ ما يقتضي انهُ كان مستعملاً في الجاهليَّة الاولى عند شعرائها » لكنَّهُ لم يأتِ على ذلك بشاهدٍ يؤيد قولهُ. واقدم ما وجدنا في ذلك ابيات ذكرها عماد الكاتب في الخريدة لابي عبد الله سعد الدين الحسين الشهير بابن شيب قالها في المستنجد بالله لمَّا تولَّى الخلافة سنة ٥٥٤ (١١٥٩ م) وختمها بتاريخ . وقال

اصبحت « لبَّ » بني العباس كلهم ان عُدِّدت بحروف الجُمَّل الخُلَفا

اراد انَّ المستنجد هو الثاني والثلاثون من الخلفاء العبَّاسيين وانَّ هذا العدد متضمَّن في جُمَّل « لبَّ »

ثم انتشر هذا الفنّ وشاع بين الشعراء وتقرَّرت شروطهُ وتعيَّنت انواعهُ . حتى انهُ لم يجزِ في القرون المتأخرة امر ذو بال دون ان ينظم لهُ بعض الشعراء تاريخًا

واوَّل من نظم التاريخ في انواع البديع الشيخ عبد الغني النابلسيّ فظنَّ البعض انهُ هو مخترعهُ . وليس الامر كذلك لانَّ للشعراء ابياتًا تاريخيَّة عديدة قبل عهدهِ . وقد اقرَّ هو بنفسهِ صريحًا انهُ ليس هو مخترعهُ حيث قال في شرح بديعيَّتهِ المعروفة بنفحات الازهار (ص ٤٩٥) : « هو (اي التاريخ) نوعٌ اخترعهُ المتأخرون ولهم فيهِ العجب العجاب وقد ادرجتهُ في فنون البديع لماو مراتبهِ وسموّ مناقبهِ ولطافة مسلكهِ وطلوع شمس البلاغة في اوج فلكهِ » ثم عرَّفهُ بان قال : « هو عبارة عن ان يأتي الشاعر او المتكلم بكلمة او كلمات اذا حُسبت حروفها بحساب الجُمَّل بلغت عدد السنة التي يريد المتكلّم من تاريخ الهجرة » وكذا قل عن تاريخ النصرانيَّة . وعرَّفهُ آخر بقولهِ « هو ان يأتي بعبارة تشير الى جمع جمل حروف بطريق صحيحة الاوضاع مقبولة عند الطباع »

﴿ شروطهُ ﴾ قد اشترط اصحاب هذا الفنّ عدَّة شروط لضبطهِ وحُسن وضعهِ . منها ان يتقدَّم على الفاظهِ لفظ « ارّخ » او « ارّخوا » او ما دلَّ على التاريخ : واذا تصرَّف الشاعر في تقديم او تأخير او زيادة بعد لفظة التاريخ اشار اليهِ لئلّا يستغلق على القارئ . كقول بعضهم في تاريخ بستان :

جنيك تاريخ اتى ضبطهُ « بستان بسط باهرٌ زاهرُ »

فلم يحسب في التاريخ قوله « اتى ضبطهُ » . وقال الآخر وقد قدّم كل كلمات التاريخ على لفظهِ :

فتحنا العراق وذا اللفظ من رشاقتهِ جاء تاريخهُ

ومن شروطهِ ان لا يكون في بيتين بل في بيت واحد وهو لا يتناول في الغالب سوى عجز البيت او قسماً منهُ . ومنها انَّ الحروف تحسب على صورتها دون مراعاة لفظها فتحسب مثلاً الف « فتى » ياء وتاء التأنيث المنقَّطة تاء وغير المنقَّطة هاء . ولا يحسب المشدَّد الَّا حرفاً والهمزة التي لا كرسيَّ لها لا تُحسب شيئاً ويحسبون الف الاطلاق وهلم جرًّا

﴿ خواصُّهُ ﴾ وللتاريخ خواص وصفات اهّلتهُ لأن يُجعل في انواع البديع . وعليه فانَّ الذوق السليم يمجُّهُ اذا كان حشواً بلا معنًى او كان متعقّداً او لم يرتبط بما قبلهُ . واحسنهُ ما كان فيهِ فائدة تاريخيَّة كقول ابن الملّا في جلوس السلطان الغازي سليم الثاني سنة ٩٧٤ هـ (١٥٦٦ م)

تولَّى مليك العصر وابنُ مليكهِ بعزٍّ وتأييدٍ ونصرٍ وسلطانِ
ودولة ملك قلتُ فيها مؤرّخاً « سليم تولَّى الملك بعد سليمان »

وربَّما دلَّ على صفات المؤرّخ او بعض احوالهِ كقول بعضهم في آخر ابيات وصف بها تجديد سور عكّا على يد الشيخ ظاهر العمر

لمَّا بناهُ الشيخ ظاهر عنوةً اعناهُ تاريخي « بناهُ ظاهر »

ويستحبُّ فيهِ ان يدل على نكتة ادبيَّة او فكاهة او حكمة . وهو مع ذلك منسجم الألفاظ مؤتلف المعنى خالٍ من كلّ هجنة . وقد مرَّ في المشرق امثال من ذلك نحيل اليها القرّاء في تراجم الشعراء الياس اده وميخائيل البحري ونصرالله الطرابلسي وارسانيوس الفاخوري . امَّا التواريخ التي نظمها سيادة المنسنيور يوسف العلم فهي جامعة كل هذه الخواص ويغني تدوينها عن وصفها ونذكرها على حسب زمن تاريخها

تاريخ للطيب الأثر المطران طوبيا عون مطران بيروت

ماتَ الرحومُ وعونُ الدهر وا أسفي فضُمَّ في الرمسِ ضمَّ الدُرّ في الصدفِ
من سادَ في الدين والدنيا فاورثنا عين السعادةِ في أعلى ذُرى الشرفِ
مذ سار للمجد رافائيلُ ارّخهُ « انا الخفيرُ لطوبيّاً فلم يخفِ » ١٨٧١

تاريخ للطيب الشهير الشيخ شبلي الخازن

نفذَ القضاءُ فيا عشيرةَ خازنٍ صبرًا وفي ايّ الورى لم ينفذِ

شيانُ ماتَ فأرخوا بوفاتهِ ... ماتَ المُداوي والمُداوَى والذي... ١٨٧٢

تاريخ المرحوم فرنقو باشا متصرف لبنان المدفون جسدهُ في مدفنه الخاص في الحازمية من لبنان

يا آلَ لبنانَ قد اودعتكم جسدي ... والحبُّ يودِع في ترحالهِ أثرَا
انا فرنقو وباشا كنتُ بينكمُ ... ومضجعي ههنا يُبقي لكم خبرا
فموتُ مَن سلفوا وعظٌ لمن خلفوا ... وعبرة تلك سعدًا للذي اعتبرا
تبايَنَ الناسُ في الدنيا وغايتُها ... ارّخْ تسوّي الورى في الرمس طيَّ ثرى ١٨٧٣

تاريخ للمرحوم يعقوب ثابت الذي دُفن في مدفن والده يوسف ثابت في عين سعاده

سقاكِ الحيا يا رمسَ يعقوب كلّما ... بكى العصرُ ذا فضل بهِ كان يفخرُ
بني ثابت لا تندبوا فقد والدٍ ... بانجالهِ الاخيار ما زال يُنشَرُ
ثوى مع ابيهِ طيَّ رمسٍ حسدتهُ ... على دُرَرٍ في باطن الارض تُطمرُ
تضمُّهما عينُ السعادة ارّخوا ... وعهدَ لِقا يعقوبَ يوسف تذكرُ ١٨٨٠

تاريخ للمرحوم ارسانيوس كور الذي كان من القضاة الشهيرين بالعدل

قضى من كان قاضي العدل عمرًا ... لهُ في كل محكمةٍ شهودُ
توقّد في حشا البترون كورٌ ... وهبَّ بسائر الاحشا وقودُ
على ارسانيُسْ رَحَماتُ ربّي ... تجودُ فكان للمضنى يجودُ
عدانا تاركًا ذكرًا جميلًا ... ونجلًا ذكرَ والدهِ يُعيدُ
سألناهُ لحكم الموت فيهِ ... رددًا علَّ منها نستفيدُ
على شفة المؤرخ قال ويحٌ ... قضاء الموت ليس لهُ ردودُ ١٨٨٢

تاريخ كنيسة حيفا التي بناها على اسم القديس لويس الملك سليم وابرهيم نصرالله الخوري

لويسُ في الدين والدنيا مآثرهُ ... والبرُّ والبحرُ من احكامهِ انتفعا
للذكر من آل نصرالله هيكلهُ ... هذا سليمٌ وابرهيمُ قد رفعا
في ظل سلطاننا عبد الحميد نرى ... كلًّا بمعبدهِ لهُ يُقيمُ دُعا
قد صحَّ ما قيل والتاريخ شاهدهُ ... ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا ١٨٨٩

تاريخ للمرحومة صابات اصفر امرأة ايوب ثابت والدة سليم بك ثابت

بكينا المكرمات على بُكاها ... زكيةَ اصلها كرمَ الفعالِ
لفجعةِ ثابتٍ شُقّت صخورٌ ... ولوعةُ اصفرٍ في كل بالِ

فيها لم يجد أيوب صبرًا ولم يسلم سليمٌ من نصالِ
اليصابات اهداها سلامًا فمُ العذراء جامعة الكمالِ
ولو كلٌّ بذا التاريخ اهلًا لفُضلتِ النساء على الرجالِ ١٨٩٤

تاريخ لكنيسة مار جرجس الكاتدرائية في بيروت

كنيسةَ الحقّ لا تخشَيْ مقاومةً من الجحيم فان الله بانيكِ
وانت بيروت هل فاتتكِ مأثرةٌ من الاماني عهدَ الدبس راعيكِ
بنى سليمانُ للرحمانِ هيكلهُ وحبرنا شادَ هذا في مبانيكِ
في ظلّ سلطاننا عبد الحميد ذي معاهد الدين تعلو في تعاليكِ
فسبّحي الله مولانا بتقدسهِ
وهل سوى الدين في الاهوال واقيكِ
على فمِ الحوت ارّخنا شواهدهُ لوذي بجرجس رب الرمح حاميكِ ١٨٩٥

تاريخ لراجي السعد بن فؤاد غندور بك السعد مع الاشارة الى عائلته

غندور عز اراكَ الحظُّ اربعةً من البدور تردُّ الارض افلاكا
في طالع السعد هيَّأ الله مطلعهم والسعد رافقَ مسعاهم ومسعاكا
فرّحْ فؤادكَ فيهم فالحبيب يرى من النجيب مرامًا مثل مرآكا
تمّت زواياً لبيت شدتَ مرتفعًا تدوم فيه مدى الاجيال ذكراكا
بني بنيكَ ترى عيناكَ مبتهجًا واليوم من بكرهم ذاالنجل حيّاكا
هبْهُ دعاءكَ والتاريخ راجعهُ يا راجي السعد وقّى الله مبناكا ١٨٩٥

تاريخ للمرحوم حنا بك الاسعد

يا آل صعب بكيتم فرع اسعدكم شهمًا بكى من نواه العرب والعجمُ
شهمٌ للبنان ابقى من نزاهته آثار صدق روواها الخصم والحكمُ
كفّوا مناحة مفقود بتربتهِ ما كلُّ ميتٍ طواه الرمس والرممُ
يحيى بتاريخه باقٍ وشاهدهُ السيفُ والخيلُ والقرطاسُ والقلمُ ١٨٩٦

تاريخ لامين بك طربيه وقد مات وهو في مجلس الادارة عضو قضاء البترون

يا آل لبنان قد غالت امينكمُ سود الليالي وفي ذا السجن منطرحُ
من آل طربيه عين كان معتبرًا عينَ الوفاء وكم عينٍ لنا شبحُ

بكى اليتامى بُكا الابنا وأمُّهمُ　　وطالما اذكروا نعماهُ وامتدحوا
رعى اللانك مَن الفاهُ سيدهُ　　عبدًا امينًا جزاهُ معهمُ الفرحُ
اسفارنا ارّخوها صاح شاهدهُ　　ان الامين انى الدارين ممتدحُ ١٩٠٠

تاريخ للمرحوم الخوري جبرائيل البيطار مع الاشارة الى اهله المدفونين
في كنيسة مار سمعان بقرية غوسطا

من آل بيطار تساقطَ فارسٌ　　لا بالوغى لكن باحكام الردى
وبنوهُ سمعانٌ ويوسفُ بعدهُ　　الياس يواكيمُ منصورُ العدى
واليوم جبرائيلُ سار وبا لهُ　　عبدًا امينًا كاهنًا متجرّدا
هذه سلالة فرع يعقوب الذي　　بابيهِ سمعان الشهير تمجّدا
ذاك الذي بكت المكارم فقدهُ　　وبذكره التاريخ فاه مفردا
شُهبٌ تواروا في الثرى لكنّما　　يحييهم ذكرٌ يدورُ مخلَّدا
سمعانُ من نجليك ربك مالئ　　ذا البيتَ قل يا ليت مني مشهدا
وكذا جزاء المتّقين لربّهم　　وهنا نرى خبرًا لذاك المبتدا
يا نخبة الفضل الصحيح وعصبة م　　ألشرف الصريح بني المروءة والندى
قد طالما قمنا حذاء مقامكم　　وبكاؤنا صعقات موسى جدّدا
ونداؤنا لاقى سميعًا عندهُ　　اذ رحمة المولى اجابت بالندا
حيّ الرضى تلك الوجوه تلطفًا　　ما غاب وجه للبدور وما بدا
هـذا سلامي ارخوه بآلكم　　فسلام جبرائيل اغنم موردا ١٩٠٢

تاريخ للمرحوم حنا الدبس المدفون في كنيسة مار مخائيل بيروت

بيت الله قد احييت سكنى　　مدى الاجيال لا يومًا وشهرا
تشارك عابدين الله فيه　　عظامي بانتظاري اليوم نشرا
فيا وطني العزيز عليك مني　　سلامٌ فاحتفظ لي فيك ذكرا
أمطراني شقيقي دمت سلوى　　لاولادي واخواني وفخرا
وإمّا كان يوحنا شفيعي　　رجوتُ بظلهِ ملجا وسترا
هي الدنيا وخمرتُها المنايا　　تدورُ بكأسها والكلُّ سكرى
ألا لا كان تاريخي بدهر　　امن دبس تذوق اليوم مرًّا ١٩٠٢

تاريخ للمرحوم الخوري بولس العلم الذي خدم رعية كنيسة مار الياس برأس بيروت ٢٥ سنة

يا رأس بيروتَ قد جازت بخدمتكم خمسٌ وعشرون من عمري بلا سأمِ
واليوم امضي ولكن لم يكن اسفي أوفى على رمقي منهُ على غنمي
بالله يا بولس المختارُ صُن كرَماً عبداً سميّكَ والاسماءُ كالذممِ
هاكُم ودَاعي وذا التاريخ جاء بهِ غمي لهجرانكم نارٌ على العلمِ ١٩٠٢

تاريخ للمرحوم الخوري سمعان العلم الذي وقف املاكه لانشاء مدرسة خيريَّة ودفن في كنيسة هذه المدرسة

ألا زُرْ هيكلاً سمعان فيهِ توارى كهفَ اخباتٍ ونسكِ
ومن حوليهِ كل الشعب يبكي على علَمٍ يُدكُّ وايّ دكِّ
قضى من عمرهِ تسعين عاماً بسالك فضائلِ أكرِمْ بسالكِ
لاجل البر خصَّص مقتناه وجاد بنفسهِ من دون ضنكِ
وفي تاريخهِ ناداهُ ربٌّ هلمَّ الان خذ ملكاً بتلك ١٩٠٣

ومن مدة قريبة زار احدى المقابر ونظم فيها هذه الابيات الآتية عسى ان تكون تذكرة لبعض المسيحيين في تذكار موتاهم الذي ميقاته في ٢ ت ٢ من السنة الجارية

قد جزتُ يوماً بالمقابر زائراً فيها لحجرة عيلتي المتعفرهْ
وجثوتُ في ذاك المكان مصلّياً من اجلهم ومدامعي متحدّرهْ
وجلستُ انظرُ في التراب مردّداً حكماً من الفردوس احرز مصدرهْ
إنّا ترابٌ والترابُ مصيرُنا فبايّ وجهٍ نستحلُّ المفخرهْ
وكذا القصورُ الى القبورِ مسيرُها وعظائم الدنيا هنا مُستحقَرهْ
أينَ المعارفُ والمحاسنُ والغنى اين المناصب والجيوش مظفرهْ
ذي بقعةٌ تطوي عوالمَ جمّةً لو يرجعونَ تضيق عندهم الكرهْ
فاذا عددتَ رمال تربتها ترى اعداد موتاها تفوقُ مكرَّرهْ
تلكمْ جسومٌ كالهباء حسبتُها لكن سيبعثها النشورُ مغيَّرهْ
وقيامةُ الاجسادِ تُظهر قدرها وزروعنا مثلٌ لتلك المقدرهْ
قُل تلك اسرارٌ لحكمة خالقٍ كي لا تتيه نفوسنا متكبرهْ
اذ كنتُ في هذي الامور مفكّراً والنفسُ من تذكارها متأثرهْ

واذا بصوت من كهوف رموسهم   يدوي بصدري والصدا قد كرَّره
هيَّا ارحمونا يا احبَّتنا الأُلى   منَّا حظيتم بالكنوز مذخَّره
هلّا ذكرتم كيف كنَّا عندكم   في حق من سبقوا لهذي المقبره
ما حان ان تنسوا وشائج لحمكم   ودماؤنا بعروقكم متديّره
هذي المنازلُ والرياش يزينها   هذي الجنائن والرياض المثمره
هذي مكاسبنا ومن اتعابنا   هذي لكم منَّا كالف مذكِّره
كيف انقلبتم عن عهود جدودكم   والمرء يعتبرُ العهودَ مطهَّره
لو كنتم في ذا العذاب مكاننا   أرضيتمُ منَّا بأيَّة معذره
لا تنكروا هذا المكان وثارهُ
في عُرف مَن عرف الصواب مقرَّره
هذا كتاب الله يقضي بيننا   وبهِ ترى هذي الفروض مسطَّره
هذي معاملة الذين تقدَّموا   في حق موتاهم لاجل المغفره
من كامل الاعصار تُسمع رحمةُ الـ   ـموتى فيا عجباً لهذه الأثره
لا تبخسونا يا كرام حقوقنا   انَّ الحقوق لدى الكرام موقَّره
ان ترحمونا تُرحموا من غيرنا   ولكم لديهِ رحمة متوفّره
اليوم تذكارٌ لموتاكم فلا   تنسوا فروضاً للجميع محرَّره
جدّوا وجودوا في سبيل نجاتهم   من سجن مطهرهم ونارٍ مسعره
هذه نصائح من يؤرخُ آنها   يا ربحَ من غدوا النفوس مطهره ١٩٠٣

دفنة

حالتها الحاضرة وآثارها الغابرة

لجناب الشيخ منصور مسعود حبيش

دفنة هي مزرعة حقيرة على مسافة ساعة من شمال شرقي غزير فيها غاب كثيف الاشجار تأوي اليه الوحوش في فصل الشتاء بيوتها لا تتجاوز عدد الاصابع وجميع

سكانها يعتنون بتربية دود القز وزراعة الحقول وغرس الكروم واقتناء المواشي كقطعان الماعز وغيرها. وقد اتاح لي القدر ان ذهبت اليها في السنة المنصرمة وقضيت فيها بعض أيام من فصل الصيف لاشغال شخصيَّة. ففي احد تلك الأيام عند ما دانت الشمس من المغيب ذهبت لترويح الفكر وبمعيتي شيخ فلاَّح في السبعين من عمرهِ ذو بنيةٍ قويَّة كنتُ احبُّ معاشرتهُ لما طبع عليهِ من السذاجة وسلامة القلب وحسن الطويَّة. فكان يقص عليَّ اموراً خفيت معرفتها وايضاح شأنها على اصحاب التواريخ الذين جرَّدوا اقلامهم وكتبوا عن مقاطعتنا الكسروانيَّة. وكنت صاغياً لقولهِ والصدر منشرحٌ من كلامهِ الى ان ادَّى بنا المسير الى بئر يرد اليها سكَّان القرية بمواشيهم ليستقوا من عذوبة مياهها. فاخذ الشيخ يروي لي عن كيفية استجلاب الماء الى هذه البئر في أيام الشتاء شارحاً لي بالاسهاب عن عظم اعتناء اهل تلك القرية في نظافة مياهها فتقدمت اليها قليلاً واخذت احدق النظر في بنيانها فبان لي ان اعظم مهندسي عصرنا في بلادنا السوريَّة لا يستطيعون اقداماً على عمل كهذا اذ هي منقورة في قلب صخر اصمَّ. فبانت اذ ذاك امارات التعجب على وجهي فقرأها بسهولة الشيخ الفلاح ولذا بادرني بالسؤال قائلاً:

— لا مرية انك في اندهال عظيم لما شاهدت في هذه البئر من دقة الصناعة وحسن البنيان ها قد مضت عليَّ الاعوام المتوالية وحنى ظهري الدهر ولم ازل مع ذلك اتذكر اقوال والدي الشيخ الذي توفي ولهُ من العمر نيف وثمانون سنة اذ اجابني عن سؤال خالج لبي بشأن هذه البئر على الحالة التي تراها الآن ولا نعلم ايّ يدٍ انبطتها واحكمت صنعها هذا الاحكام

فأطرقتُ رأسي هنيهة ثم تباعدت قليلاً عن شيخنا الذي كان متشاغلاً بالحديث مع احد الرعاة الذي ورد الماء مع قطيع ماعزهِ واخذت اتجول قرب البئر وامعن النظر فيها الى ان وجدت بعد الفحص انَّ طولها يبلغ عشرين متراً في عرض اربعة امتار ودائرة حلقتها متراً بنيِّف. فاحكمتُ النظر فيها لعلّي اقف على كتابة تجلي غوامض ما خفي عليَّ لكن املي ذهب ادراج الرياح فرجعتُ القهقرى كالح الجبين والقلب حزين. واخذت اتجول هنا وهناك الى ان نظرت على بعد اربعة امتار من البئر احواضاً أُعدَّت للمواشي ومن جملتها حوض يبلغ طولهُ متراً وعشرين سنتيمتراً على هيئة ناووس وهو محفور

حفرًا محكمًا فزادني اكتشافي هذا رغبةً في البحث وشدةً في التحقيق. وأخبرت ايضًا انهُ من بضع سنين بينما كان احد الفلاحين يحرث ارضهُ عثر على قفاز من حديد وخاتم حديد وسنان لكن الايدي تناقلت هذه الآثار ولا يعلم اي يد تملكها فتضنُّ بها. ولم تزل عوامل الشوق تعمل بي للوقوف على اصل هذه القرية الى ان نلت والحمد لله بعض اشياء مهدت لي طريق هذا البحث

*

دفنة هي ابنة نهر باني (Pénée) المعبود في تسالية كالإله ولعظم ما كانت عليه من الجمال كلف بها ابولون إله النور كلفًا شديدًا واخذ يتعقَّبها من ارض الى ارض ويقتص آثارها حتى اوشك ان يظفر بها. فلمَّا شعرت بقصر باعها وانها اسيرة ذاك الإله العاتي استغاثت بابيها الاله ليسرع لمعونتها ويمدَّ لها يد الاسعاف. فلم يذهب طلبها سدًى بل لبَّى ابوها مقالها واستجاب طلبها ومسخها غارًا جميل المنظر. ودفنة هي كلمة اعجمية يونانيَّة معناها الغار ولعلَّ « الدفلى » في العربيَّة مشتقَّة منها

فانشد الشعراء القصائد في محاسن هذه الالهة وشُيِّدت لها المعابد ومن جملتها معبد بقي شيء قليل من اطلاله في القرية التي نحن بصددها وهي عبارة عن خمسة او ستَّة احجار ضخمة ثلاثة منها حُفرت بايدي سكان القرية وجعلوها احواضًا خلا الذي تكلَّمت عنهُ آنفًا وحجرين آخرين باقيين في مكانهما على مسافة سبعة امتار من البئر التي سبق كلامنا فيها فلا مرية ان سكَّان طرابلس ومدينة جبيل وما جاورها من المدن الساحليَّة التي كانت في ما مضى من الاعصار مأهولة بعَدد عظيم من السكان كانوا يأتون زرافات ووحدانًا الى ذاك المعبد للقيام باحتفال عيد الالهة دفنة كما هي عادتهم المألوفة مقدمين لها ما حلا لديهم من التقادم النفيسة لكي يستمدوا منها نجاحًا وتوفيقًا ثم يذهبون بعد ذلك الى القنص في غابات هذه القرية المتكاثفة الآوي اليها عدد عظيم من الوحوش الضارية كالخنزير البري والضباع والذئاب الكثيرة حتى في أيامنا هذه

ولمَّا استُجلب ماء نبع المغارة الى مدينة طرابلس عُرِّج به كما يزعمون الى دفنة حيث لم تزل باقية الى الآن خنادق لا يعمل فيها حديد ولا نار. امَّا استجلاب ماء نبع المغارة ومروره على القرية المذكورة فلا اظنهُ حقيقيًا لما هي عليه من العلوّ عن مصدر ذاك الينبوع

وعلى مقربة ربع ساعة من القرية المذكورة توجد بئر ثانية بنيانها كبنيان البئر التي سبق وصفها والظاهر ان اليد التي حفرت بئر دفنة واتقنتها هي هي نفسها بنت البئر الاخرى وتأنقت بعملها لِما بينها وبين الاولى من التشابه وفي يومنا هذا تدعى هذه البئر بئر الحاو وينسبون اليها عدة احاديث خرافيّة: منها ان مغربياً اتى هذه البئر منذ اعوام عديدة واستخرج من قلبها كنزًا ثمينًا بواسطة سحرهِ ومكرهِ واصاب صاحب الملك من هذا الكنز قسماً قليلًا اماَّ النقود المكتشفة هناك فيخبرون انها صُكَّت في ايَّام ملوك اليونانيين

هذا ما وقفتُ عليهِ بعونهِ تعالى من تاريخ هذه القرية وكم خفيت امور على اصحاب التواريخ وطلاب العلم. والله سبحانهُ وحدهُ عليم

(المشرق) قد اصاب كاتب هذه المقالة الاديب بقولهِ انَّ دفنة من الامكنة القديمة. فان اسمها اليونانيّ يدلُّ على انَّ ثمَّت كان الوثنيون يكرمون الاله ابولون ولعل الفينيقيين كانوا يريدون بهِ الههم تموز فعبدوهُ على صورة ابولون وكان الغار (δάφνη) من شارات هذا الاله خُصَّت بهِ شجرتهُ. وقد كثرت الامكنة المعروفة باسم دفنة اشهرها دفنة انطاكية وهو مكان في ضواحيها وكذلك اشتهر في سوريَّة قريباً من بانياس بلد يُعرف باسم تل دفنة. ومما يدل على قدم دفنة كسروان ما وجد ايضاً في كفر جزّين ابس بعيدًا منها من الآثار. فان المسيو لويتاد قنصل دنيمرك سابقًا في الثغر اكتشف هناك تمثالًا للمشتري البعلبكيّ الذي وجد منهُ الاب رنزفال في دير القلعة تمثالًا آخر وصفهُ في المجلة الكتابيّة

يمين العليّ

رواية تاريخية للاب س. ت اليسوعيّ

الفصل الثالث عشر

سكرات الموت (تتمَّة)

وكان طيطس سبق وادرك ما سيبعثهُ منظر اسرى اليهود في قلوب اهل بيروت من الرحمة ولذلك جعل وراء صفوفهم الغنائم والاسلاب التي فاز بها الرومان في الحرب الاخيرة. فكنت ترى العجلات الموعبة من كنوز اورشليم وعقائل اموالها تتوالى تباعاً

وتبهر اعين الناظرين بينها الذهب والفضّة والاواني الثمينة والحجارة الكريمة وملابس الارجوان التي كانت تزين هيكل اورشليم . وكان قسمٌ من هذا المغنم قد خصَّهُ طيطس ببيروت فكتب عليهِ : « هديّة طيطس لاهل بيروت »

فسُرَّ الشعب لهذا المنظر ونسي الاسرى ثم صار يهتف هتاف النصر للامبراطور ولابنهِ الظافر . وزاد فرحهُ لمَّا سمع مناديًا يتجوَّل في وسط القوم وهو يبشّر الشعب بان طيطس سوف يحتفل في مدينتهم بالعاب جميلة شكرًا للآلهة على انتصاره امَّا الاعياد فانَّهُ يباشر بها في مساء ذلك اليوم وقد امر بان توزَّع لكل الاهلين اقساط معاومة من البُرّ والزيت والخمر

فهذه البُشرى اسرت قلوب الجمهور بمحبَّة طيطس فكان لا يُسمَع في كل انحاء المدينة الَّا اصوات القوم يهتفون : فليحيَ طيطس ! فليحيَ الظافر باعداء الدولة ! ثم تفرَّقوا شيئًا وشيئًا في انحاء المدينة وعادوا الى بيوتهم ينتظرون بفروغ الصبر الحفلات التي وُعدوا بها . وكثيرون منهم تواردوا الى حانات الخمَّارين فعاقروا بنت الحان صاب نهارهم

امَّا الجند فكان اخذ منهم التعب كلَّ مأخذ بعد ذلك المعرض الحافل والدخول الباهر الى حاضرة بيروت . فما كاد يستقرّ بها قدميهم حتى اووا الى المنازل المعدَّة لهم واحتلُّوا الثكنات العسكريَّة لينالوا فيها نصيبًا من الراحة

امَّا اسرى اليهود فسلَّمهم الجند لنظَّار الألعاب فقادهم هؤلاء الى عنابر واسعة واسراب مظلمة وزجُّوهم فيها كأنَّهم المواشي العجماء ريثما تأزف الساعة فيلقونهم للسباع والوحوش الضارية . وكان المتولُّون على هذه الألعاب أمروا بان يصطادوا في غابات لبنان من النمورة والضباع والاسود عددًا وافرًا فيضوّرها ويقطعوا عنها كلَّ مأكل لتزيد نهامةً وشراسة وتشبع من لحمان الاسرى وكأنَّ هذه الوحوش احسَّت بما يُعدُّ لها من الفرائس البشريَّة وكانت في اقفاص قريبة من العنابر فلمَّا أُتي بالاسرى جعلت تهمهم وتزأر وتهيج حتى كادت تكسر حواجزها

*

— لا بُدَّ لي ان اراها ولا يمكنني ان ابوح بسري لغيرها

— قد دجا الليل وسيّدتي معتزلة في حجرتها منذ ساعتين فضلًا عن انَّها مهزولة

الجسم خائرة القوى فلا استطيع ان اوقظهـا

— فان كان الامر كما تقولين اني انتظرها الى غدٍ لكنني اخاف ان تفوت الفرصة

وكانت يهوديت ساهرةً لم تغمض جفناً وهي جاثيـةً تستجيرُ بالصلاة الى الله في احدى زوايا حجرتها. فسمعت الصوت وقامت من ساعتها ففتحت الباب ورأت دوروتيا بازاء رجل من العامّة وهي تصدُّهُ عن الدخول. فلماً رأت الامة سيّدتها التي كانت تظنّها نائمة اخذها الدهش والذُعر. امّا الغريب فانهُ انحنى امام يهوديت مسلّماً

« من انت ؟ وما الذي حدا بك الى ان تأتينا في مثـل هذه الساعة فتقلقنا ؟ ألَكَ في حاجةٍ ماسّة ؟ »

قالت يهوديت هذا اذ رأت ما كان عليهِ الوافد من سوء الحال. ثم بحثت عن كيس دراهمها لترضخ لهُ من مالها شيئاً لظنّها انهُ اتاها ليطلب منها صدقةً

امّا الرجل وكان في مقتبل العمر لا تتجاوز سنّهُ الثلاثين فانهُ قطع كلامها قائلاً: « لستُ اطلب شيئاً وانّما جئتكِ فقط برسالةٍ. وما اتمّ قولهُ حتى اخرج من جيبه قطعة من الخزف ناولها يهوديت. فاسرعت الى قراءة ما كُتب عليها بهمةٍ وقلبها يضطربُ اضطراباً شديداً وبينما هي تطالعها اصفرّ وجهها وامتُقع لونها فمالت ساقطةً ويدها تشير الى قلبها. فانها قرأت على الخزفة ما حرفهُ: « اني محبوس في سرب ملعب بيروت وسأُلقى للسباع في اليوم الثالث فبدارِ بدارِ وخلّصي اباكِ »

وكانت دوروتيا لمّا رأت سيّدتها هابطة الى الحضيض اسرعت الى ان تسندها بين ذراعيها وصرخت لتدعو الخدم فما كان منهم الّا كطرفة العين حتى هبُّوا الى سيّدتهم وحملوها الى فراشها واخذ هذا ينضحها بماء بارد وذاك يفرك جبينها بخلّ او يُنشقها الروائح المنعشة حتى عاد اليها رشدها بعد قليل

وللحال قامت رغماً عن عبيدها وطلبت دواةً وقرطاساً. وكانت الرسالة التي وردت عليها اثّرت فيها تأثيراً عظيماً فملأتـها فرحاً وحزناً معاً. امّا الفرح فلعلمها ان والدها بعدُ في قيد الحياة امّا الحزن فلوقوفها على حالتهِ. الّا انّ الفرح غلب على حزنها فكادت تنسى ما يُحدق بابيها من الاهوال وعلّلت نفسها بالامل انّ نجاتهُ لمن الامور السهلة. فاخذت تبشّر اهل الدار بقدوم سيّدهم وتبتهج معهم بخلاصهِ كأنّهُ نجا من اغلالهِ وصار بين ذراعي ابنتهِ وتربّع في دست دارهِ الفخيمة

ولكن لمَّا أتت اليها دوروتيا أمتها بالدواة والقرطاس وارادت يهوديت ان تسطِّر كتاباً لابيها لم تدرِ ما تكتبهُ وظهرت لها حالة والدها التعيسة التي لم تعتبرها بادئ بدء الّا كمُعضل بسيط يسهل فكّهُ. فكانت مخيّلتها تارةً تصوّر لها السباع الضارية وهي تهجم على والدها لتفترسهُ وتارةً تراهُ يمثّل بهِ بازاء الجمهور فيذوق مرائر الاوجاع. أفما كان الأولى بها ان تخبّر بموته بعيداً عنها؟ او لم يأتِ صونيل الى وطنهِ الّا لتقاسمهُ ابنتهُ آلامهُ وتموت بمشاهدتهِ مرتين؟

هذه الافكار كانت تخالج قلب يهوديت والقلم بين يديها فاحسّت برجفةٍ عظيمة واتروت وجهها وكادت تستسلم الى اليأس واذا بصوت كوارتس الاسقف الذي سمعتهُ قبل أيام عاد فطرق مسامع قلبها: «يا قليلة الايمان مالكِ تشكّين». فكان هذا الصوت الداخلي كنور لاح لها فقامت من وقتها وجثت تطلب من الله المعونة في كربها فبقيت ساعةً جامدة ثمَّ اخذت تصرخ: «ربّي والهي اني واثقة بك ان كان لا بد من معجزةٍ لخلاص والدي انك قادر على هذه المعجزة. يا يسوع فكَّ اغلال والدي».

وكانت دوروتيا التي دخلت وحدها الى حجرة سيّدتها تنظر اليها وتشعر بما يتنازعها من العوامل المتناقضة. فلمَّا رأتها تصلي جعلت هي ايضاً تردّد معها: «نعم يا فادي البشر لا تخيّب دعاءها فانَّ يمينك لم تقصر. هبها النعمة التي تطلبها. ردَّ لها والدها».

ولمَّا قامت يهوديت من صلاتها لاح لها بارقة امل فسألت عن الرجل الذي اتاها بالرسالة. واذا بهِ واقف يصلّي على الباب منتظراً الجواب فقالت لهُ: «من انت وما اسمك؟»

فصلَّب الغريب وقال: «انا احد اخوتكِ بالمسيح واسمي بولس»

— ومن اعطاك هذه الرسالة؟

— هو شيخ مريضٌ اتى امس مع اسرى اليهود. وناشدني الله ان أُسرع فابلّغكِ هذه الرسالة فاملّهُ لا يحيى طويلاً وهو مع ذلك لا يشاء ان يموت قبل ان يراكِ

فانهملت عبرات يهوديت لمَّا سمعت هذا الكلام. لكنَّها اسكتت صوت قلبها وارادت ان تتحقّق بالسؤال لعلّها تستطيع ان تجد وسيلةً لنجاة والدها. فسألت الغريب عن حالهِ وكيف توصّل الى والدها. فاخبرها أنهُ دخل في خدمة حارس الاسرى مجّاناً ليجد بذلك طريقة الى مساعدة بعض المتنصّرين من يهود اورشليم كانوا